الله والإنسان

بقلم

مصطفى محمود

تصدر عن

دار الجمهورية

هــذا المؤلف



- تخرج من كلية الطب بالقصر العينى فى ديسمبر ١٩٥٢ وتخصص فى الصدر
- بدأ يكتب القصص القصيرة من عام ١٩٤٧ فى مجلة الرسالة الاسبوعية
- واشتغل بعد ذلك بآخرساعة وأخبار اليوم والتحرير وروز اليوسف
- أخرج كتابه الاول ٠٠ أكل عيش ٠٠ فى سلسلة الكتاب الذهبى ٠٠ حاويا لاقاصيص وصور شعبية نابضة الحياة
- ناقش مشكلة الأديان فى روز اليوسف مناقشة حرة ، كان لها أثر بعيد بين القراء
- يعتقد أن مشكلة الجيل الحقيقية هى مشكلته مع نفسه ٠٠مع مثالياته وأهدافه ٠٠ فقد حطم مصابيحه القديمة التى كان يسير على نورها ٠٠ ولم يصنع بعد مصابيح جديدة ٠٠ وهو يتخبط بين متناقضات عنيفة تمزقه ٠٠ ولهذا كان واجب الكاتب فى نظره هو تصفية هذه التركة القديمة من المثاليات والأهداف ٠٠ وخلق أهداف جديدة تنبض بروح العصر ٠٠ ان الايمان ضرورى ٠٠ ولكن بأى الأشياء نؤمن ؟ ! ٠٠ هذا هو السؤال الذى يجيب عليه الكاتب فى الصفحات المقبلة ٠٠
- لايلتزم فى الكتابة الا الصدق نحو الواقع الحى الذى يعيش فيه
- مازال أعزب حتى كتابة هذه السطور ! ! ٠٠

هذا الكتاب

كل شىء يتغير ..

ان المثل القائل بأن لا شىء باق على الأرض مثل صحيح .. فلا شىء باق فى الحقيقة .. حتى المثل العليا كالجمـــال والحق والخير دائمة التبدل والتطور هى الأخرى ..

كان حقا مشروعا فى الأزمان الغابرة أن يبيع أى تاجر هلفـوت عددا من العبيد أو يشتريهم علنا فى الأسواق .. وكان المشترى لا يخجل حينما يزن بضاعته الآدمية .. ويتحسسها اذا كانت امرأة .. ويعاينها عارية قبل أن يدفع الثمن .. كان كلا البائع والمشترى مستريحى الضمير .. وكانت السلعة البشرية ترضى بنصيبها على أنه قدر .. وعلى انه ليس فى الامكان أبدع مما كان ..

ولكن هذا الحق أصبح الآن باطلا .. وسقط من حساب القانون .. لأن الزمن نفسه قد سقط من حساب التاريخ .. والناس قد ماتوا .. وماتت معهم أحكامهم وظهر ناس جدد بعقـــول جدد وموازين جديدة ..

حقوق البابا المقدسة .. وحقوق الكرادلة والمطارنة التى كانت تحكم الى جوار الملك وتحرق الناس على الصلبان .. وتلقى بهم فى أعماق السجون .. وتعزل الوزارة .. وتجيش الجيوش .. هذه الحقوق قد تقلصت .. وانكمشت فلم تبق منها الا الابتهالات التى يقدمها الشماس لمريديه .. والدموع التى يسـكبها القسيس على المذبح ليطلب لزبائنه الرحمة ..

كان الكردينــال فى الماضى يكتب لمريديه صكا يصرف من بنــك الجنة .. قيمته كذا من الفدادين والعـــزب .. وكان يعينهم فى الجيش والبلاط بكلمة من فمه .. أما الآن فغاية ما يملكه ان يقول فى تبتل ووقار ..

ـ سوف أصلى من أجلك يا ولدى .. سوف أطلب لك الخلاص من الرب ..

وحقوق الملك لم تكن أحسن حظا من حقوق الكرادله .. فقد تحول الملك من عملاق يحكم الى باشكاتب يبصم .. وطلع له عفريت يجثم على أنفاسه اســمه البرلمان .. وطلع للبرلمان عفــريت آخر اسمه الشعب .. كان كعصا موسى ابتلعت كل الأفاعى ..

والخير والشر خضعا لناموس التطور .. فتغيرت معانى الرذيلة .. ومعانى الفضيلة ..

كانت المرأة رمزا للشيطان .. وكانت الغريزة الجنسية خطيئة تحمل أوزارها المرأة وحدها .. فأصبحت المرأة الآن نصفا مكملا للرجل .. وأصبحت الغريزة حالة فسيولوجية تنظم لصالح المجتمع ومسرة أفراده ..

وتحولت نظرة القانون للمجرم .. فأصبحت تنظر الى شره فى داخل اطار ظروفه وبيئته وتزن حريته وحدود امكانه وتحكم عليه حكما أكثر عدالة ..

ثم بدأ القانون الحديث ينظر الى المجرم نظرته الى المريض الذى يلزم عزله فى مستشفى ورعايته واصلاحه بالطعام الجيد والنصــح والتعليم ..

وسقطت هالات القداسة عن معظم الآلهة القديمة .. وأصبح كل شىء يقبل النقاش والجدل والمراجعة ..

وفى هذا الكتاب حاولت أن أناقش مشاكلنا كلها من جديد ..
واطرح التركة الفكرية التى ورثناها عن الجـــدود فى غربال واسع الخروق ليسقط منها الفاسد ويبقى الصالح ..

وحاولت أن أجعل رحلة القارىء بين دفتى الكتاب رحلة مرحة خالية من دبش الفلسفة الثقيل الذى يبعث على الصــــداع ..
فالأدب فى نظرى كالحياة .. معرفة .. وامتاع ..

« مصطفى محمـود »

***

انى آكل مـن قلبى كل يوم . . . .
واحترق . . . .
لأضيىء للنــاس الطريق . . . . .

* * *

لقد ولدت أحمــر اللون . . . . . .
وســوف أمـوت . . . .
أبيض الشـــعر . . . .
سوف تذهب نارى . . . .
ويبقى الرماد . . . .
ان أى متعة فى الحيــاة . . . . . .
لا تســاوى ألمى . . . .

* * *

انهم يلقون بزيتى على الأرض . .
انهم يسرقون نبيذى . . . .
انهم يكبلوننى بالحديد . . . . . .
انهم يقطون يدى ورجلى . . . . . .
انهم يريدون منى أن أكذب . . . .
ولـكنى لن أكذب . . . .
سوف أمـوت وأخلف لهم . . . . .
شيئا لا يموت . . . .
هو الحقيقـة . . . .

* * *

يا قلبى العجوز تشجع . . . . . .
لا تعبأ بالهزيمـة . . . .
ان النصر آت عما قريب . . . . .
والعــدل لا بد أن يتحقق . . . . .

من قصـيدة لشـاعر مجهول

● هل تعبد اللذة ٠٠ام تعبد الالم ٠٠ أم تعبد المجد ، أم تعبد نفسك ، أم تعبد الله ، أم انك مزيج من هؤلاء العبدان كلهم٠٠ تقضى مع كل رب ساعة ٠٠ وتركع فى كل محراب ركعة ●

ماهى فلسفتك ؟

يارب

٠٠ يا متجلى ٠٠ يا كريم ٠٠ ألا ياامولانا سكة مكة من هنا ٠٠ آخذ شمالى ٠٠ وبعدين أمشى على طول ٠٠ على طول ٠٠ فتح الله عليك ٠٠ أصلى راجل غريب ٠٠ مش من البلاد دى ٠٠ جاى من تونس ماشى ٠٠ رايح الحرمين ٠٠ عقبالك ٠٠ الفاتحة للنبى أنه يكرمنا جميعا ٠٠ بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠

رجل قادم من بلاد المغرب على قدميه يسأل عن الطريق الى مكة ٠٠ وقد غير ثلاث بلغ فاسى فى الطريق ٠٠ وقطع ربع محيط الكرة الأرضية وهو يحلم بالنبى ٠٠

وأنا ٠٠ أتشعبط فى الترام ٠٠ وأسأل عن السكة الى بار مخالى ٠٠ وانت تسأل عن السكة الى البنك الأهلى ٠٠ وغيرك يسأل عن السكة الى البحر ٠٠ والحياة كلها سكك ٠٠

كل واحد منا أفلاطون صغير ٠٠ قرد بيزنطى تعذبه فلسفة فى مخه ٠٠ كل واحد منا فهم الحياة على طريقته الخاصـــــة وكيف معانيها لتلائمه كالثوب فأصبحت له عربة ملاكى ٠٠ وديانة ملاكى ٠٠ وخير ملاكى ٠٠ وشر ملاكى ٠٠ ورب ملاكى أيضا ٠٠

بعضنا فهم الحياة على أنها لذة فمضى يبحث عن الشبع •• مضى يبحث عن اللبن والعسل والحضن الدافىء والثروة واللقب والمنصب •• وعاش حياته شهوة •• مجرد شهوة الى الطعام •• والجنس •• والغنى •• والقوة •• والحكم ..

وبعضنا فهم الحياة على أنها ارتفاع فوق الحياة •• على أنها خلق أشياء أو فكرة أو مذهب ، وعاش فى محنة الخلق يصنع للعقول خبزها وهو نفسه يحيا بلا خبز ••

وبعضنا فهم الحياة على أنها اهدار للحياة وانتحار •• فعكف على قتل نفسه قتلا بطيئا بالخمر والمخدرات والقمار والدعارة والتهتك •• وسكب على أعصابه الكحول وأشعل فيها النار دفعة واحدة أو اختصر الطريق وعلق نفسه من طرف حبل ••

وبعضنا رفض أن يفهم •• ورفض أن يحاول •• وجلس على قارعة الحياة يتفرج بلا مبدأ وبلا مذهب •• وبلا عقيدة •• وبلا اله •• مجرد متفرج تمر من خلاله الحياة دون أن يقبلها أو يرفضها

وبعضنا عجز عن الفهم اصلا وارتج عليه فوقف أمام الحياة مبهوتا سليب الارادة فى حالة من القلق والحيرة والتبلبل •• والوله والهذيان •• وقف يصيح •• يا رب •• يا متجلى ••

الحياة ليست اذن سكة واحدة مؤدية الى مكة كما يعتقد صاحبنا المغربى •• ولكنها خمس سكك متقاطعة •• مرصوفة بالخمر والزهر والدم والعرق والدموع •• خمس سكك تؤدى الى خمس أرباب يحكمون عقول الناس فى الأرض •• فأى رب من هؤلاء تعبد ••

هل تعبد اللذة •• أم تعبد الألم •• أم تعبد المجد •• أم تعبد نفسك •• أم تعبد الله •• أم أنك مزيج من هؤلاء العبدان كلهم تقضى مع كل رب ساعة من حياتك وتركع فى كل محراب ركعة ••

ان العوام يظنون الفلسفة ملكا للجامعات وحدها ‥ ولكنهم هم فلاسفة دون أن يحســـوا ‥ أنهم افكار من لحم ودم ‥ وآراء مطبقة على الواقع ‥ ومذاهب تمشى على الأرض وتأكل وتشرب كما يأكل الناس ‥ فلا يوجد انسان بلا مذهب ‥ وانعدام المذهب هو مذهب فى حد ذاته ‥

ان جان بول سارتر لم يأت بجديد حينما أتى بالوجودية ‥ وقال بأن العالم ينبع منا ويصب فينا ‥ وأن الشر هو ما نراه شرا ‥ والخير ما نراه خيرا ‥ وأن الأخلاق وجهـــة نظر فردية ‥ وأن الحكمـــة هى ما نحب ونرغب ‥ ولا وجـــود للحق المطلق خارج أشخاصنا ‥ فهذه العقلية يفكر بها رجل الشارع دون أن يسميها فلسفة ‥ وجان بول سارتر يعبد نفسه ويسير فى مستوى رغبته ‥ ويمثل سكة من هذه السكك الخمس ‥ سكة اللذة ‥

وهناك شخصيات مهزوزة وتماثيـــل ناقصـــــة ‥ وقوالب غير كاملة لهذه السكك الفكرية ‥

تجد أحيانا رجلا يعبد المال فقط ‥ ولكنه لا ينفقه وانما يكدسه ‥ لقد وقف عند عبادة الوسيلة ‥ كالمجنون ‥ الذى احتضن سوتيان فى فراشه ورفض ان ينام مع صاحبته ‥

وتجد رجلا جمع فى نسيجه خيوطا من كل الاتجاهات ‥ فأصبح متناقضا .. غامضا ‥ قلقا ‥ معذبا ‥ كهاملت ‥ فهو يعبـــد اللذة ويعبد الألم ، وهو يتصوف وينتحر ‥ ويكتب الشعر ‥ ويرتكب الجرائم ‥ ويتذبذب بين مائة قرار فى وقت واحـــد ‥ وينتهى بأن يقف معلقا مشلولا عاجزا عن اتخاذ رأى ‥

واذا بحثت فى حظوظنا واقدارنا وجدتها صورة من فلسفاتنا ‥ ‥ فالجرعة التى يشربها كل منا فى حياته تساوى سعة فمه ‥

اذا فكرت فى المتاعب أسرعت اليـــك المتاعب .. واذا فكرت فى اللذات .. أسرعت اليك اللذات .. كالتنويم المغناطيسى .. تقــول .. أنا نمت .. أنا نمت .. فتنام .. أنا مرضت .. فتمرض .. أنا شفيت .. فتشفى .. أنا انتهيت .. فتنتهى .. سحر الارادة الملتهبة يصنع كل شيء حتى القدر نفسه ..

وهكذا تجد الانسان كالزرع يحكم نموه .. نوع البذرة .. ونوع الأرض .. نوع الارادة .. ونوع الظروف .. نســـيج غامض من فتلتين ، فتلة نسميها الرغبة .. وفتلة اسمها الصدفة .. ومن التقاء الفتلتين تتألف حياته ..

***

حاول من الآن ان تعرف نوع فلسفتك ونوع الرب الذى تعبده .. نوع الأرض التى تقف عليها .. ونوع القلب الذى بين ضلوعك .. واشـــحذ مواهبك .. وسكاكينك .. وخض معركتك ولا تنتظر الصدفة لتصنع لك أقدارك وانما اصنعها أنت بنفسك .. فان نجاح الصدفة لا يعيش .. اختر موتك أفضل من أن تختار لك الصدفة حيـــاتك ..

اسأل نفسك قبل أن تنام .. لم خلقت .. ولم تعيش .. وما هى رغباتك الخام .. الخالصة من شوائب النفاق والحياء .. ابحث عن ضعفك وقوتك ، وضع أفعالك تحت عدسة نزيهة من النقد .. واستخلص حقيقتك بالتفكير العميق ..

اننا بعد مشوار طويل من الكفاح نشبه العربات المجهدة .. نحتاج الى تجريش ، وتزييت ، وتشحيم ، وفحص للموتور ، وملء للبطارية ونظرة الى خزان الوقود والمروحة لنعاود السير فى مشوار طويل آخـر ..

وقد تعتقد انك أفلست ويستحكم يأسك .. ولكن نظرة واحدة الى خزان قواك .. يمحو متاعبك ، ويذروها مع الريح ..

ان البطولة بدون وعى ليست بطولة .. ولكنها تجديف .. والوعى بلا إصرار كالصقر المهيض الجناح ..

ان الحياة العصرية تحتاج الى اسلحة عديدة ..

انت فى حاجة الى قراءة الفلسفة .. والشعر .. والقصص .. فى حاجة الى فتح ذهنك على الشرق والغرب ليحصل على التهوية الضرورية فلا يتعفن وستفهم نفسك من خلال الناس الذين تقرأ لهم .. واذا فهمت نفسك .. فقد وضعت قدمك على بداية الطريق .. وعرفت من أين يكون المسير ..

***

● لقد صنعنا الصلاة وصدرناها الى البلاد التى لا تشرق فيها الشمس .. وقدمناها هدية بلا ثمن الى جونبول وأجداده . وجربناها على المذاهب الأربعة ولم يبق الا ان نجرب الطعام الجيد ●

الطعام أولا

علمنى اجدادى ان هناك حقيقة واحدة تحكم الدنيا .. هى الحب .. حب الله .. وحب الأم .. وحب المدرسة .. ولا شىء غير هذا ..

ولقد كنت أحب مدرستى .. كنت متيما فى حبها .. فقضيت فيها ثلاثة أضعاف الوقت الذى قضاه زملائى .. واحتضنت كل سنة ثلاث مرات .. وأخذت بنصيحة اجدادى .. فنجحت بالصلاة فقط .. وخرجت لأواجه الدنيا بحب لا ينفد ..

أحببت جارتى فتزوجتها من أول نظرة .. وأحبتنى هى لآخر فدان فى أملاكى .. ولآخر جنيه من ثروتى .. وكان حبها عنيفا .. أتى على كل ما أملك فى سنة واحدة ..

وفتحت عينى ذات يوم لأجد نفسى وحيدا .. والى جوارى مصحف وحجاب لمنع الفقر ..

وبدأت أفكر فى كل شىء من جديد ..

هل صحيح ان الدنيا يحكمها الحب ..

لا أحد يحب المرض .. والقذارة .. والجهل .. والبهدلة .. نحن نحب الصحة .. والنظافة .. والعلم .. والشياكة ..

ولكن الصحة يبيعها الصيدلى ·· والنظافة يبيعها تاجر الصابون ·· والعلم يبيعه تاجر الكتب ·· والشياكة يبيعها تاجر القماش ·· فهؤلاء هم أصحاب بورصة الحب ··

وعملة الحب اذن تصرف من البنك لا من القلب ··

كلنا نحب الحرية ·· وليس هناك من يحب العبودية ··

ولكن لا تستطيع أن تختار شيئا الا اذا كنت تملك ثمنه ·· اذا كنت تملك ألف جنيه تستطيع أن تختار بين قضاء سنة فى باريس أو سنة فى هاواى ·· واذا كنت تملك شلنا تستطيع أن تختار بين قضاء أسبوع على الرصيف أو أسبوع فى السجن ··

واذا كنت لا تملك شيئا تستطيع أن تنتحر بكامل حريتك ··

ان حريتك فى جيبى لأنى أملك أكثر منـك ·· وحريتى فى جيب صاحب العمارة التى أسكن فيها ·· وحرية صاحب العمارة فى جيب سمسار الحديد والطوب والخشب ·· وحرية سمسار الحديد فى جيب رجل مجهول يملك ثلاثة مناجم فى تكساس ··

***

هل أكتب فنى لوجه الفن !؟

هل يرسم الرسام لوجه الجمال !؟

وهل يلحن الملحن لآلهة النغم !؟

وهل يرفع النحات تمثاله لله !؟

لا أظن ·· اننا نقدم كل هذه الأشياء للتاجر ·· والتاجر يعرضها للبيع ·· فاذا كان المشترون كلهم من القسس رسمنا المسيح وكتبنا الوصايا العشر ·· وأقمنا تماثيل للعذراء ·· وعزفنا أوبرا موت يوحنـــا ··

واذا كان المشترون من الوثنيين ·· قدمنا لهم تمثال برونو وكتاب زرادشت ·· وأوبرا انتصار الشيطان ··

ان صاحب الصحيفة يشترى منا الفن مقالات ويبيعه للجمهور مجلات ·· ليبعه الجمهور بعد ذلك بالأقة ·· واحيانا تنعكس الآية ·· فيبيع الفنان التعس مقالاته بالأقة ليحصل على لقمته !

ان الفن أيضا تجارة تخضع لتقلبات العرض والطلب ·· ولأحوال بورصة العقود ··

***

واولياء الله ·· وأصحاب الكرامات يعتمدون على التجارة أيضا فى اقامة الموالد ·· يعتمدون على بيع الحمص والكشرى والملبن والغوايش والحلقان والأساور الزجاج ··

وحاجة الدراويش لا تختلف كثيرا عن حاجة النشالين الى الموالد ·· فكلاهما يبحث عن مصلحة ··

ولولا بترول الحجاز لظلت مكة تعتمد على زوار الكعبة كل عام لتعيش ··

ان الدين ينتعش كلما كان مورد رزق ومورد حياة ·· ويدخل الى قلوب الكثيرين عن طريق أفواههم ··

***

وفى محيط الفلسفة لا يختلف الامر كثيرا ·· فالشبه قريب بين الوجودية والكنافة ·· كلاهما حاجات ذاتية ··

والفلسفة التى تسود فى أى بلد هى التى تفسر للناس حياتهم وحاجاتهم ··

والعلم لم يترفع عن الخضوع للتسعيرة فى أحد الأيام ·· وقد نبتت أعظم اختراعات العلم من فتات موائد الحروب لأنه كانت هناك

حاجة اليها .. وكان هناك علماء .. وكانت هناك أموال تنفق بلا حســـاب ..

ظهر البنسلين.. وال « د.د.ت » .. والذرة .. واســـتفاد ملايين المرضى على حساب ملايين القتلى الذين ماتوا فى الخنادق ..

***

لقد وضع افلاطون فى جمهوريته التجار مع فئة المواشى .. ولو ترك أفلاطون قبره وجاء يتفرج على دنيانا لوجد الحال بالعكس .. لوجدنا نحن مع المواشى .. ولوجد التجار على ظهورنا ..

***

اننا فى الشرق نتكاثر فى مهارة نحسد عليها .. ونصنع الاطفال بالسرعة التى يصنع بها الامريكيون شفرات الحلاقة .. فنتضاعف كالنمل كل عــام ..

ولكن قطار التطور لا يهم فيه عدد العربات التى يجرها وانما المهم هى الماكينة التى تجر .. وهى ماكينـــة من سلندر واحد هـــو « الوعى » ..

ان الكثرة بدون وعى وبدون مادة .. كثرة عاجزة ..

لقد فكر برناردشو فى أمراض المجتمع كثيرا .. وفكر فى علاجها .. ومن أقواله المأثورة .. أن خلاص البشرية معلق على شيئين .. المال والبارود .. فان المريض لا يشفى بالصـــــلاة .. وانما بالمال والقوة .. عصبا البصر فى المشاكل جميعا .. وهو يقول فى حوار احدى مسرحياته

– ان التعويذة التى تعيـــد ذلك اللص الى المجتمع أبسط مما نظن .. فقط مائة شلن فى الأسبوع وبيت نظيف .. وعمل يعيـــد اليـــه كرامته ..

***

الدين .. والفلسفة .. والسياسة .. والأخلاق .. والقوانين

.. وكل ماهو خير .. وكل ماهو شر موضات تتغير مع المواسم والاعياد .. وتخرج من حاجات الناس ومن ضروراتهم ..

الدين يبقى طالما هو يؤدى وظيفة أرضية ويخدم ضرورة يحتاجها الناس .. والفن يروج طالما هو يعبر عن وجدان الذى يقرؤه أو يسمعه أو يشاهده .. والسياسة تنجح طالما هى تحقق المصالح الاجتماعية التى جاءت من أجلها .. والأخلاق تعيش طالما هى تنظم معاملات الناس لصالح انتاجهم ..

كل هذه المثل والكلمات الطنانة الرنانة تخرج من الأرض .. وتمر على المعدةأولا فاذا هضمتها صعدتالى العقل وعششت فيه..

الحق المطلق .. والخير الصرف .. والفضيلة المجردة .. توجد فى عقول المتصوفين والمجاذيب والحالمين .. ولكنها لاتوجد فى مجتمعنا الذى يأكل ويشرب ويمرض ويموت ..

لايوجد فى الشرق اكثر من عشرة مجرمين حقيقيين من طراز ابطال دستويفسكى .. ولكن هناك مليون فقير يحمل كل منهم فى ثوبه ميكروبات السل والتيفود والكذب والنفاق والبخل والجريمة فالشر يسكن مع الجوع والحرمان والمرض .. ولا يسكن برجا عاجيا فى الفراغ ..

ولا يوجد فى بغداد نبى واحد .. ولكن يوجد عشرات من الانبياء الذين يبنون الكنائس والملاجىء والمدارس ليدخلوا البرلمان .. فالخير يسكن مع المصلحة .. ولايسكن فى قلعة زجاجية فوق السحاب والمجتمع له عقل باطن مثل عقلك .. له غرائز تحكم أفعاله .. وتصنع دوافعه .. وهى ليست غرائز جنسية .. وانما هى مصالح أرضيةبحتة هدفها صيانة الشكلالموجود فيه والمحافظة على طبقاته وهو لايجاهر بهذه الدوافع على حقيقتها .. وانما يلف

ويدور ويتخابث ويتكلم بالانجيل والتوراة .. وفضـائل عيسى وموسى .. وابراهيم ..

والطريقة العصرية فى بلوغ الفضيلة ليست الصلاة .. وانما هى الطعام الجيد ، والكساء الجيد ، والمسكن الجيد ، والمدرسة والملعب وصالة الموسيقى ..

الاصلاح الحقيقى يجب ان يبدأ في جيب الدولة وحافظة نقودها وتوزيع ثرواتها .. وتنمية مواردها .. وسوف يؤدى استخراج الحديد والزرنيخ والمنجنيز من تلقاء نفسه الى استخراج الصدق والاخلاص والعدالة والعفة من قلوب الناس ..

ان المثل العليا صناعة محلية .. النظام الاجتماعى هو الذى يصنعها ويصبها فى قوالبه فتخرج كاثوليكية أو بروتستنتية أو حرة حسب حاجات النظام نفسه ..

" واذا أردت أن تصنع الناس .. فاصنع المجتمع أولا .. أصنع الدولة .. "

***

هذه هى الفلسفة الواقعية .. وهي ليست وحدها التى تصنع لعقولنا الخبز .. فهناك فلسفة أخرى روحانية تجذب عقولنا فى اتجاه مضاد ..

هناك رجل مثل « هكسلى » يؤمن بالحق المطلق والفضيلة المجردة .. والخير الصرف .. ولا يعتقد أن المثل العليا تخرج من الضرورات المادية .. ولا يعتقد ان الفرد يتخذ شكل القالب الذى تصنعه له دولته .. وهو يطالب بصناعة الفرد أولا اذا أردنا أن نصنع الدولة .. وبالعودة الى الله والى روح الاديان .. الفرد فى نظره يجب ان يؤمن بوجود اله .. بوجود قوة خفية خلف الظواهر المتغيرة ..

قوة خلقت الكون وحلت فيه .. لاسبيل الى الوصول اليها الابانكار الذات .. والتضحية ..

وفي قصة « العالم الجديد » يتصور المجتمع الذى يحلم به « شو » .. وقد تحقق .. عالم كبير متحد .. وحكومة واحدة .. وشعب يتمتع بالغذاء الجيد .. والمسكن الجيد .. والكساء الجيد .. عالم كالساعة .. كل شيء فيه دقيق وآلى .. وكل شيء ممكن .. الحب .. والسعادة .. والشرف .. يمكن توليدها بالحقن والاقراص .. والنسل يمكن التحكم فيه وضبطه .. والاجنة يمكن زرعها فى القوارير .. والعمر يمكن اطالته ..مجتمع عالمى مثالى .. ولكن فى نفسى الوقت مجتمع بغيض فاشل لانه مجتمع بدون اخلاق .. وبدون قيم .. وبدون اله .. وبدون خير .. وبدون شر .

ان « هكسلى » لايعتقد أن أى نظام دولى يستطيع أن يصنع الفضيلة فى الافراد اذا لم تكن لديهم ارادة الفضيلة ..

فانت تستطيع ان تعالج المريض من الملاريا ولكن جهودك سوف تذهب ادراج الرياح اذا أصر المريض على السكن جوار المستنقعات والتعرض للسع البعوض ..

ان الامكانيات العلمية والاقتصادية يجب أن تنمو فى المجتمع جنبا الى جنب مع نمو الأفراد .. وينضج وعيهم .. أما وضع قوى هائلة كالقوى الذرية فى يد وعى غير ناضج ، فهو كوضع البمب فى يد الاطفال .. نهايته الحتمية هى دمار العالم ..

***

هذان هما الاتجاهان اللذان يحكمان الارض .. وكلا الاتجاهين يؤثران فى اذهاننا كما يؤثر قطبا المغناطيس فى برادة الحديد .. فيصنعان مجالا مغنطيسيا من التنافر والتجاذب حولها ..

وبين القطبين درجات متفاوته من الاعتدال والتطرف ..

ويبقى بعد هذه المعركة .. يبقى أنا .. وأنت

أنها ليست معركة بيزنطية بلا مدلول .. أنها معــــركة تعيش فينا نحن أيضا ..

أننا نريد أن نتقدم .. ونصنع مجتمعا صالحـــــــا ومواطنين صالحين .. فماذا نفعل ..

لقد صنعنا الصلاة وصدرناها الى هكسلى واجداده .. وجربناها على المذاهب الأربعة .. ولم يبق الا أن نجرب الطعام الجيد ..

ولقد استخرجنا أيضا الشيطان من القمقم .. ولم يبـــق الا أن نستخرج الحديد من الأرض .. و ركبنا بساط سليمان فلا مانــع من أن نركب منطادا أو طائرة صاروخية ..

فالحقيقة واحدة بالرغم من وجود مذهبين .. والعمر واحــــد أيضا .. وقد تكون الحقيقة شيئا آخر جديدا نكتشـــفه نحن كما اكتشفنا الأديان من قبل ونقدمه للغرب فى تواضع ..

ان العمل هو احدى الطرق لاختبار الافكار الجيدة .. وقليل من العمل أفضل من كثير من التفكير أحيانا

***

● ان انكار الحرية اهدار للمسئولية.. وانـكار للأخلاق ولمغزى التاريخ ومعنى التطور .. انه يحول الحياة الى عبث.. ويحول الآدميين الى تماثيل . فلو كان الغد مرصودا فى لوح فما معنى السعى والاجتهاد ، وأعمال الفكر والكفاح ●

هل أنت حر ؟

أنا وأنت والناس جئنا الى الدنيا كما تجىء البضائع فى صـــناديق .. كل منـــا عليه بطاقة صغيرة مكتوب عليها صنفه ، مصرى .. مسلم ذكر .. وزنه سـبعة أرطـال بشرته بيضاء .. وشعره أشقر ، وعيونه عسلية ..

لم يسألنا أحد رأينا ونحن فى طريقنا الى الدنيا ..

لم يوشوش أحد فى أذنى وانا فى رحم أمى .. ليقـــول .. أيها الوغد الصغير .. أيسرك أن تولد فى مصر أم تحب أن تولد فى زيلع .. أتحب أن أسميك صبحى أم جرجس أم ليشع .. أم بولجانين .. ثم أيسرك فى النهاية أن تكون ابنى .. مع العلم بأنى عطار فقير مغفل دخلى الشهرى لايزيد عن جنيه أم تحب ان نرجع فى كلامنا فى اللحظة الاخيرة .. لا أحد كلف نفسه مشقة أخذ رأينا على الاطلاق ، وانما جئنا الى الحياة بطريقة غير دستورية ، وكان علينا بعد هـــذا أن نواجه مجموعة من الاقدار المحتومة ..

أدركنا منذ البداية أننا فى أجساد مقضى عليها كل يوم بأن تأكل وتشرب وتتحرك وتتناسل ، والقمنا أباؤنا كتبا وقالوا لنا بالضرب .. هذا هو الخطأ .. وهذا هو الصواب .. هذا هو الخير .. وهذا الشر .. وهؤلاء هم الانبياء المرسلون .. الارض التى تعيشون عليها

كره ٠٠ وأحسن لغة فيها هى اللغة العربية ٠٠ وأعظم بناء هو الهرم الاكبر ٠٠ وأحسن طعامهو الملوخية المصريةالصميمة بالخبز والارانب وأحسن من الاثنين الصيام فى رمضان ، وفى كل الشهور أن أمكن ٠٠ ثم أدركنا أن الكرة الارضية تدور حقا وان علينا كل سنة أن نعرق فى الصيف ونرتعد فى الشتاء ، وعلينا أن نعطس ونصاب بالزكام ثلاث مرات على الاقل فى العام ثم نصاب بالدوسنتاريا ، والبلهارسيا وفقر الدم ٠٠ ثمعلينا ان نصفق أحيانا بالاكراه ٠٠ ونبكى أحيانا أخرى على سبيل المجاملة ، ونضحك على سبيل الذوق ونتزوج من باب المصلحة ٠٠ وننجب أولادا يموت نصفهم بالاسهال الصيفى ، ثم نكتشف فى شيخوختنا بعض أشياء قليلة نمتنع عن الجهر بها حتى لانشنق ، ثمنموت فى النهايةكالكلاب الضالة ،ويقول عنا أولادنا : اننا ذهبنا الى جهنم ٠٠

هذه كمية هائلة من الاقدار ٠٠ فأين حريتنا ، وهل نحن أحرارا حقا ؟ ٠٠٠

ان هذا الهيكل العظمى الذى يطوينا كالسجن فى أضلاعه صحيح ولكن هناك أشياء أخرى صحيحة أيضا ٠٠

اننا نولد كالديدان ٠٠ ولكننا بعد سنوات قليلة نصنع شرانق ، ثم ننطلق منها فراشات ذوات أجنحة ٠٠ ونطير فى الجهات الاربع ٠٠

اننا نستطيعبعد ان ننضجأن نناقش الاديان، ونستطيعأن نرفض الكتب ، ونستطيع ان نقول لا ٠٠ بقوة وعنف ، ونستطيع أن نحارب المرض ، والجهل والفقر ، ونستطيع ان نغير أوطاننا ٠٠ وان نغير أذهاننا ، وأذهان الناس ٠٠ ونستطيع اذا توفرت لنا الامكانيات المادية أن نترك الكرةالارضية كلها ونذهبنجوب الفضاء وراءكواكب جديدة ٠٠ ونستطيع ان نبنى وان نهدم نستطيعأن نأكل وأن نصوم ٠٠ وان نقبل الحياة ٠٠ وان نرفضها

ان الاختيار قضاء مبرم ·· والحرية حقيقة فينا مثل العبودية ·· ·· ان نصفنا جثة ، ولكن النصف الاخر روح ·· نصفنا جامد آلى كتروس الساعة ·· ولكن النصف الآخر متحرك مرن كاللجام يرخى ويشد ويتحكم ويوقف الآلة كلها أذا أراد ··

اننا نختار فى كل لحظة ·· شئنا أم لم نشـــأ ·· الضعفاء منا يتركون العادة تختـــار لهم ، والاقوياء يختارون بأنفسهم ويبتكرون لحظاتهم لحظة بلحظة ويصنعون لانفسهم كل شىء حتى المصير ··

ان قليلا من التأمل يطلق أمامنا حقيقة رهيبة ·· اننا نستطيع أن نفعل أى شىء ·· ليس هناك قانون أعلى من قانون حياتنا نفسه ·· واننا لنحس بعد هذا التأمل بثقل الحرية على كاهلنا ·· بثقل هذه الامانة ·· فنود لو نلقى بها ونذهب مغمضى العيون الى أقدارنا ·· ويتجاذبنا الخوف والطموح ·· الاقدام والاحجام ·· ونعيش معلقين على حبال القلق ، ونحن نتساءل ماذا نفعـــل ؟ ··· وكيف نختار ؟ ·· والى أى مدى تذهب حريتنا ؟ ·· واين الطـريق الذى يصعد واين الطريق الذى يهبط ؟ ··

هل الحرية ان نخضع للقانون ·· أم الحرية ان نتفاعل مع القدر الخام ونتسلق على كتفيه ؟ ··

ان الاكل ضرورى لحياتى ·· ولكنى حر ·· أستطيع أن أمتنع عن الاكل · ولكنى لوامتنعت عن الاكل فانى أموت وبالتالى تموت حريتى معى ·· فالحرية اذن ليست خرق القانون ·· الحرية لها طريق واحد اذا كانت تهدف الى النماء هو تسلق القانون والانتفاع بالنظام وتلبس القوى الخام فى الطبيعة ··

ان شلالات نياجر ·١٠ ظلت تنحدر فى طريقها ألوف السنين حتى جاء رجل صغير ووضع فى طريق الشلال عجلة ، فانطلقت طاقة هائلة من الكهرباء أضاءت مدينة !! ··

أنت حر وطريق حريتك أن تبحث عن الشلال ، ثم تضع ذراعك ·· فى اتجاه قوة الطبيعة ·· وفى لحظة واحدة تصبح عملاقا · أما اذا أردت أن تنتحر فتستطيع ان تستعمل حريتك فى الاتجاه الاخر

ان العربات اذا أطاعت نظام المرور تصل أهدافها بسرعة أما اذا أطاعت هوى سائقها ·· فانها ستتوقف فى فوضى·· وتسد الطريق ولن يجد حتى عابر الشارع مكانا لقدميه وأسرع طريقه للوصول الى هدف أحيانا هى السير ببطء ··

اننا ولدنا وألقى بنا فى مجموعة من القوانين ··· ولكننا نحن قوانين أيضا وقوانين بصيرة واعية لها عينان ·· ولها ذراعان وساقان ·· والقوى الطبيعية الغاشمة التى يمكن ان يكون فيها هلاكنا يمكن أيضا ان تكون مطية ذلولا ويمكن ان تكون تعويذة سحرية كتعويذة على بابا ·· تفتح كنوز ثراء لاينتهى ·

ان الكفر بحرية الانسان جريمة أقبح من القتل ·

ان الصدفة تهزم الارادة أحيانا وتفسد التدبير وتضيع الجهد ، ولكن الانسان يحاربها بسلاح العدد ·· فهو يتناسل كالنمل وكل فرد جديد يلقى به الى الغد هو مجموعة أمكانيات تنزل الى المعركة · ومن الملايين الذين يولدون يذهب مئات الالوف فى هوة الضياع ·· ويبقى مئات الالوف تتقدم بهم الحياة ·

ان نباتات الصحراء حينما تذرو بذورها مع الريح تواجه مصيرا مظلما فهناك فرصة واحدة من الف فرصة فى عثور البذور على قطرة ماء ومع هذا فهى تعثر على هذه الفرصة وتعيش ، وتبقى على نوعها ·· ونحن لسنا أشجارا ·· اننا آدميون ··

انأنكار الحرية ·· أهدار للمسئولية وانكار للاخلاق ولمغزى التاريخ ومعنى التطور ·· انه يحول الحياة الى عبث ·· ويحول

الآدميين الى براويز وقوالب لاحول لها ولا قوة .. فلو كان الغـد مرصودا فى لوح فما معنى السعى .. والإجتهاد .. وأعمال الفكر والـكفاح .. ان كل هذه القيم تسقط ويبقى قانون قبيح لامعنى له ..

ان الحرية حقيقة .. هى صرخة أحسها فى داخلى وتحســها فى داخلك فتعلو على نعيب الـكتب الصفراء وتغرقها ..

أنت حر .. وحياتك مغامرة .. وغدك مجهول

أنت الذى تقيمأصنامك وانتالذى تحطمها.. فأمض فى طريقك ولا تنس هذه الامانة التى تحملها على كتفيك .. الحرية ..

***

● تذكر هذه النصيحة اذا أردت أن تكون لصا ناجحا .. ابحث لك أولا عن منطق .. منطق لصوص من نوع جيد يتحمل البرد والحر وبوليس السيدة .. واترك الباقي للناس .. ●

منطق اللصوص

إن مكاسب اللصوص هي المكاسب الوحيدة المعفاة من الضرائب .. فى امكانك أن تسرق مليون جنيه ، وتضمن أن المبلغ كله سيدخل جيبك صافيا بلا رسوم أو عوايد أو تمغة ..

ومهنة السرقة مهنة شائعة أكثر مما يتصور الناس .. فالطبيب الذى يتقاضى أجرا على مرض لم يشخصه ، والمحامى الذى يدافع عن قضية خاسرة ، والتاجر الذى يبيع بضاعة مغشوشة ، والكاتب الذى يبيع أكاذيب والسمسار الذى ينهب نصف ثمن البضاعة عمولة .. كل هؤلاء لصوص يسرقون فى ظل القانون ..

واذا كان اللص ملكا .. أطلق على سرقاته كلمة ضرائب .. واستعمل جيشا من الشرطة فى خدمته ..

وهناك لصوص تلقاهم كل يوم وتحترمهم لأنهم يسرقون برخصة .. فهم يجمعون التبرعات لمشروع الحفاء .. أو مشروع تبييض جامع الحسينى .. أو فرش مقام السيدة بالسجاد بدلا من الحصر .. أو رعاية أيتام « كسفريت » .. وأنت تضع فى حفانهم كل الفكة التى فى جيبك .. وتتأسف لأنك لا تملك سواها ..

وفى قصة لدستوفسكى .. لص يحاول ان يتغفل أحد الرهبان فيبيعه صليبا من النحاس على أنه ذهب .. والراهب تتناول منه الصليب ويتفحصه لحظه ثم يتفحص البائع .. ليجد أنه يرتجف من البرد وسترته لا تغطيه .. وقد التصق فيه اللحم بالعظم .. فيتمتم بآية للمسيح وينقده الثمن كاملا على أنه ذهب .. ويمضى وهو يهمس فى تأثر .. « مسكين .. هذا صليب من نحاس .. واضح التزييف .. لكن اللص مسكين .. مسكين حقا »

ولصوص دستوفسكى كلهم مساكين وسذج .. يسرقون معطفا .. ثم يبيعونه ويشربون بثمنه فودكا ..

واتعس اللصوص وربما أشرفهم .. هم لصوص فى الحديد .. فى السجن .. فى بالوعة المجتمع وما أكثر ما تتلقف البالوعات من حلى ثمينة ..

لقد تعودت ألا أحتقر انسانا بالغا ما بلغ من الحقارة .. فهو حصيلة ظروف صنعت خيره وشره .. واندل الناس له منطق فى أفعاله .. منطق قد يسمو على منطق النبلاء الذين يقرؤون الجرائد فى ضوء الأباجورات ويمددون أقدامهم على وهج المدافىء .. ويتثاءبون وهم يقولون باشمئزاز : سافل .. وغد .. منحط ..

لقد كان « فرنسوا فيللون » أفاقا ولصا وشاعرا .. وحينما كان يموت بالسل فى سجنه نحيلا أزرق متقطع الأنفاس .. كان يترنم بالقصيدة الخالدة التى يقول فى آخرها ..

أيها الدود فى قبرى عذرا
فلن تظفر منى بوليمة دسمة
فقد أكلنى الناس على الأرض
ولم يتركوا لك الا العظام



لقد كان فرنسوا فيللون حلية ثمينة انزلقت فى البالوعة التى لا قرار لها ..

انك لو أخلصت لنفسك وجلست قبل نومك ساعات تفكر وحدك فى ماضيك .. ماضيك كله .. لاكتشفت أشياء صغيرة غير سارة .. أشياء مخجله .. ارتكبتها فى غفله من ضميرك .. سرقات .. وأفعالا مخلة بالآداب ..

والقديس توماس كان يقول لراعيه

ـ يا أبتى انى أفعل فى منامى أشياء كثيرة لا تليق بالقديسين

وكان الراعى يجيب قائلا :

ـ يا ولدى لا يضيرك ما تفعله فى نومك .. فالملاك هو الذى يفعل فى نومه مايفعله الشيطان فى يقظته .

وكرادلة العصور الوسطى كانوا أكثر بجبحة وتحللا .. وكانوا يفعلون فى يقظتهم .. اضعاف ما يفعله الشيطان فى نومه ..

كانوا يبيعون الشفاعات البابوية .. وصكوك الغفران .. واقطاعيات من الجنة بجواريها للمؤمنين الطيبين الذين يملكون الثمن ..

ومنذ عهد قريب أضرب شحاذوا أمريكا .. وهددوا بالامتناع عن تقبل الصدقات اذا لم ترفع لهم العمولة .. وكان هذا أخطر اضراب بالطبع .. لأن معناه ان أبواب الرحمة فى السماء ستقفل ولا يوجد لهذه الأبواب مفاتيح الا عند الشحاذين ..

كل هؤلاء لصوص ..

جهاز للسرقات المشروعة التى يحميها القانون وتحميها غفلة

الناس .. والذى يدفع ثمن هذه الخطايا كلهـــــا هو لص الدجاج الغلبان .. الذى يقبض عليه بقفص الـكاكيت ويساق بزفة مزرية الى التخشـــيبة لأنه لص بلا منطق .. بلا مبدأ يزيف به سرقاته

فلتذكر هذا اذا أردت أن تكون لصا ناجحا .. ابحث لك أولا عن منطق .. منطق لصوص من نوع جيد يتحمل البرد والحر وبوليس السيدة .. واترك الباقى للناس .

★★★

● الشرف كلمة كبيرة خطيرة ‥ يمكن أن تدفعك الى القتل أو الانتحار ‥ قنبلة يدوية غير محرمة بقانون يتداولها أمثالى وأمثالك فى الطريق العام ويلقون بهـا حيث تشـاء غفلتـهم ‥ ●

ما هو الشرف

لا يكاد يمر بى يوم دون أن التقى بصاحب علم أو صاحب لحية يعطينى دروسا فى الشرف ‥ حتى لقد بدأت أعتقـد أن كل الناس يفهمون مسائل الشرف هذه الا أنا ‥

الشرف منتشر جدا هذه الايام كالزكام

فى كل مناسبة تسمع رجلا يتشدق ٠

ـ هذا انسان عديم الشرف ‥ هلاس ‥ أنظر كيف يرفع عينيه الى النوافذ ‥

ذئب ‥ وحش ‥ لص أعراض ‥ هل تعرفه ‥

فيقول الجالسون فى اشمئزاز :

ـ لا ‥ لا ‥ لانعرفه ‥

وتنطق عدة ألسنة فى وقت واحد كالببغاوات ‥

ـ ذئب ‥ وحش ‥ سفاك ‥ هاتك حرمات ‥ عديم الشرف وتمضى ساعة فى حديث ألمعى عن الشرف ‥ وعن أيام زمان حينما كانت المرأة فى خباء لاتراها الشمس ٠ وحينما كان الرجـل ‥

يقول .. احم . وهو يصعد السلم .. ويصفق مرتين قبل أن يضع قدمه على عتبة الباب ويهمس .. الافندى موجود ..

واذا غيرت أصدقاءك وسكنك وبلدك وملتك .. فلن يجديك هذا فتيلا .. فهناك جهابذة أخلاق فى كل مكان وفى كل ملة ..

وستسمع رغم أنفك دورسا فى الفضيلة فى كل مجلس تذهب اليه . وستشك مثلى فى خيرك وفى شرك .. وفى معنى الحياة التى تعيشها ..

الشرف .. والكرامة .. والعدالة . كلمات كبيرة خطيرة .. يمكن أن تدفعك الى القتل أو الانتحار .. قنابل يدوية غير محرمة بقانون .. يتداولها أمثالى وأمثالك فى الطريق العام .. ويلقون بها حيث تشاء غفلتهم ..

الحروب الماضية التى قتلت ملايين والحروب القادمة التى سوف تقتل ملايين سوف تكون باسم الشرف ، والعدالة وحقوق الانسان .. فالانسان له أنف طويلة مثل أكره الباب يمكن أن تفتح بها قلبه .. وتملأه بالسم أو العسل .. هذه الأنف اسمها الشرف . يمكنك أن تربط عشر دول وترسلها الى المذبح اذا كان لديك حبل واحد متين اسمه الشرف .

الشرف .. الشرف .. منتشر فى كل مكان كعبير الكولونيا .. وهو فى الحقيقة غاز سام .. ودخان يغشى الحواس ويحجب الرؤية الصحيحة عن العيون .. بارافان من النيلون ، والكريتون الفاخر يحجب وراءه قاذورات ..

الشرف ليس كما يظن الناس معنى مطلق .. وحقيقة واحدة ثابتة .. انما هو نسيج محلى يخضع للاستهلاك المحلى ونوع الزبون ..



كل دولة لها شرف خاص .. وكل بلد وكل اقليم .. بل كل بيت . وأحيانا كل انسان له شرف خصوصي يتمسك به .

واذا حكمنا بأغلبية البضاعة الموجودة فىسوقنا الشرقية فالشرف عندنا معناه مضحك حقا ..

الشرف عندنا معناه صيانة الاعضاء التناسلية .. فاذآ ارتكبت كل الدنايا والموبقات الموجودة فى قاموس الرذائل من ألفه الى يائه .. وظل حرمك مصونا . فأنت شريف مائة فى المائة ..

السرقة والقتل وسفك الدم .. والنصب والتحـــايل والاغتيال

كلها أفعال رجالة ·· والسجن المؤبد للرجالة ·· والشنق للرجالة برده ··

تستطيع أن تموت خالى البال ·· وتشنق ·· وأنت تغنى مادمت قد قطعت امرأتك الخاطئة بالساطور الى عشر قطع متساوية ووضعتها فى جوال والقيت بها فى البحر فهذا هو الشرف ·· بعينه ··

الشرف عندنا خاص بالجسم فقط ·· أما شرف العقل فهـــذا تفكير بربرى ··

كيف يكون للعقل شرف ·· والعقل غير متزوج ولا يستطيع أن ينجب فى الحرام ·· هذا مستحيل ··

وكبـــار المتدينين من أصحاب اللحى ·· ومن الحاصلين على درجة حاج فما فوق يطبقون هذا الشرف فى حنبلية مطلقة جديرة بالاعجاب ·· فالواحد منهم يتزوج أربعة فى الحلال ·· ثم يتاجر فى السوق الســـوداء بكل حسن نية ويبنى عمارة من عشرة أدوار بكل براءة أيضا ، ويرفق بها خمارة وسينما وحمام سباحة ·

فاذا قادك سوء الحظ الى عمارته فى صـــحبة أمك أو أختك ·· استدعاك فى وفد من البوابين وأمطرك بوابل من الدروس الخلقية ·· فى العين التى تزنى والنظرة التى تذهب بصاحبها الى جهنم ثم شد على تلفيعته كأنه يشدد القبضة على عنقك وقال فى حمى من الشرف ·

– بجا شوف يافندى ·· أنا راجل جديم ودغرى وحاجج بيت الله ·· وماعرفشى لوع لأيام دى ·· والعمـــارة دى بنيتهـــا بالشرف والذمة وعرق الجبين ·· عاجبك تسكن عندنا بالشرف على عيوننا وروسنا من فوج ·· مش عاجبك إتفضل الباب مفتوح ·· وان الله هو الغنى ··

وتخرج تتخبط فى ثيابك ·· ومائة جمدانة خمر فى البقالة عند بباب تغمز لك بأسلوب « جــونى ووكر » عن الشرف ·· الشرف الفاضح !

كلمة الشرف منطق لا يناقش ·· جواز مرور الى أى شىء ··

يبدأ الوالد الحنون الغيور على صالح ابنه يحادثه فى تؤدة عن المذاكرة والاجتهاد ، ثم يفور ويغلى حين يتحـدث عن الخبص وقلة الأدب ·· وفى حمى الشرف يختطف أى قطعة خشب قريبة من يده وينهال عليه بالضرب فى كل مكان حتى يكسر ذراعه ·· ثم يجلس فى هدوء يشرب القهوة ·· وقد أحس أنه خدم قضية وطنية كبرى ورسالة تهون فى سبيلها التضـــحيات ·· تماما كما كان يفعل الهمجيون وهم يقدمون الذبائح البشرية للاصنام فىالعهود الغابرة ··

هذا الوالد مجرم عتيق من نوع خطير · مجرم يرتكب جريمته فى اقتناع ·· يقتل وهو يبتسم ، ويطعن وهو يضحك ولا يقلل من جريمته انه انسان مضلل فالجهل لا يعذر ··

وليس كل الشرف فى أسواقنا جنسيا ·· فهناك نوع آخر من الشرف ·· هو شرف المادة ·· الفلوس ·· القرش ·· الجنيـــه الذهب الذى يبرر أى وسيلة توصل اليه ·· وهذه بضاعة مقلدة فى الواقع وليست أصلية ·· فالمادة ضرورية للحياة الشريفة ·· ولكنها ليست الشرف فى ذاته ··

وهناك قلة جاهلية من أصحاب اللاسات والشماريخ تفعل كل شىء ، فاذا فتحت فمك لتعترض ·· صاحت فيك ··

ـ حيلك ·· فتح شوف مين جصادك · داحنا من الجعافرة ·· ماسمعتش عنعيلة الجعافرة ·· شايف الارضدى · كلها بتاعتنا ··

وهذا هو شرف الاسم ·· يستطيع أى إنسان أن يقتلك مادام من عيلة طشت ·· وأنت صبحى أفندى · مجرد صبحى ·· ليست طشتا ولا أبريقا مثله ··

وهناك شرف شائع كالسرطان فى الاوساط العلمية ·· هو شرف

الدبلومات ٠٠ يقول لك صاحب المجد ٠٠ وهو ينظر اليك من برج ايفل ٠٠

ـ انت عارف أنا مين ٠٠ أنا فلان الحاصل على دبلوم من جامعة ليبزج ٠٠ فى ترقيع القرنية ٠٠

ثم يتطاول برأسه حتى يخرق السحاب ويتركك على الأرض تذوب فى خجلك ٠

هذه عينات من الشرف المتداول فى أسواقنا الشرقية ٠٠ ويبقى الآن السؤال الضخم ٠٠ماهو الشرف ؟!

الشرف ليس مجرد صيانة العرض وليس الغنى وليس القوة وليس الشهادة وليس الاسم العريق ٠٠ انما هو شيء آخر ٠٠ هو مرتبة خلقية مركبة ٠٠ أول عناصرها العمل نحو الاحسن ٠٠ العمل بضمير يرزح تحت عبء الاحساس الفادح بالمسئولية فى كل لحظة ٠٠ فالرجل الشريف يعمل ثم ينتقد عمله ، ثم يصعد عليه نحو عمل أحسن ٠٠ فهو دؤوب كالنملة تسقط ٠٠ ثم تسقط ٠٠ ومع هذا تتسلق الحائط من جديد وعلى ظهرها ذرة من الدقيق ٠٠

الرجل الشريف يحس أنه كوبرى تعبر عليه الحياة نحو الاصلح فيساعدها وكل قطرة من دمه تهتف : سأغادر الحياة وهى أحسن مما دخلت فيها ٠٠ سيكون هناك فارق بين وجودى وعدمى !! ٠٠

والرجل الشريف ليس صاحب سعادة ولا صاحب شهادة ولا صاحب عمارة وليس لغزا من الألغاز ٠٠ إنما هو انسان بسيط يعمل فى وعى ٠٠ يعمل بحافز حر ٠٠ وباحساس فادح بالمسئولية ٠٠

والشرف مراتب ٠٠ فهناك رجل يصنع نفسه ٠٠ وهناك رجل يصنع أولاده ٠٠ وهناك رجل يصنع المجتمع ٠٠ وهناك رجل يصنع التاريخ ٠٠ وهو أشرف الشرفاء جميعا ٠٠ واذا أردت أن تعرف نصيبك من الشرف ٠٠ فاسأل نفسك يوما : ماذا صنعت لأصبح أحسن من الأمس ٠٠

● ان الفضائل نسيج حى يتطور باستمرار ويتعفن اذا حفظ . والفضائل المجففة ، وفضائل العلب لا تصلح لأمعائنا الحديثة .. وهذا هو الوقت الذى نراجع فيه فضائلنا .. ●

فضائل فى العلب

أنا من هواة جمع المواعظ .. وأعتقد أن هذا أفضل من جمع الطوابع .. والسجاجيد .. والنقود القديمة .. وان كنت أكتفى بجمعها فقط وأترك مهمة تطبيقها للناس الأفاضل الأتقيـــاء .

منذ أسابيع سمعت واعظا يتحدث ساعة كاملة عن الصدقات وعن فضيلة الاحسان .. وغلبتنى الدموع .. وأقسمت أن أعطى نصف راتبى للفقراء والنصف الآخر للخطيب ..

وبعد أن انتهت الخطبة .. سرت أترنح فى طريقى سكران من الفصاحة .. ولكنى بدأت بالتدريج أفيق .. وأدرك حقيقة عجيبة .. فلو صح كلام الخطيب .. لأصبح هناك طريق واحد للفضيلة .. طريق واحد يخلق مجتمعا من المحسنين .. هو أن يكون باقى المجتمع من الشحاذين فالصدقة .. تحتاج الى شحاذ يأخذها .

ويستوى الأمر أن يكون الشحاذ من سكان الأرصفة أو من أرباب الخدور .. فسواء تصدقت فى العلن أو طرقت الباب على رجل فقير وغمزته فى الخفاء .. فقد وافقت على مبدأ الصـــــدقات .. وعلى التمتع بهذه اللذة .. التى تقيم منك الها متفضلا وتهبـــط بغيرك الى مستوى الانسان الذليل المعدوم الحقوق ..

ان الضريبة شيء واضح ·· فهى واجب يؤدى بالرضى أوبالضرب ·· واجب محتوم ·· وحق لغيرك فى عنقك ·· يحصل عليه بالذوق أو بالبوليس ·· أما الصدقة فشيء غير مفهوم ·· إنها عمل انسانى فى الظاهر ·· وعمل وحشى فى الحقيقة ·· عمل معناه ان هناك رجلا بل حق ·· ورجلا آخر بلا واجب ·· ولكنه يستطيع أن يتفضل ان شاء ·· ويمنح الرجل الأول شيئا لله ·· ويستطيع أيضا أن يتركه للكلاب ·· ولا يمكن أن يكون هذا الوضع إنسانيا

ان الصدقة مرحلة تطور فى حياة الضريبة ·· فالضريبة تبدأ أولا صدقة ·· يتفضل بها أولو النعمة ·· ثم يدرك الناس بتطور الوعى ·· ان هذا المال حق لهم ·· فيطالبون به على أساس أنه حق ··

وهكذا تتحول الصدقة الى ضريبة لها قانون ·· وتتحول المجتمعات من مجتمعات ذليلة تقوم على الصدقات الى مجتمعات انسانية كريمة تقوم على الضرائب وتنظمها القوانين ··

ان ترك مصالح الناس تحت رحمة الهوى والمزاج والشفقة ·· أمر مضحك ·

ان القانون رمز يتجمد فى داخله ضمير الافراد ·· وهو نتيجة تطور طويل وتجارب مرت بها علاقات الناس ·· ومثاليات تبادلوها بالامتحان المستمر حتى ثبتت صلاحيتها وضرورتها فسقطت من مرشحاتهم الصغيرة الى وعاء كبير اسمه الدولة وأصبحت قانونا ··

ان الدولة كالساعة تبدأ أنت فى ضبطها أولا ·· ثم تصبح هى فى النهاية التى تضبطك وتنظم مواعيدك ··

والصدقة فضيلة فجة ·· وليست فضيلة ناضجة ·· فضيلة فى دور التجربة ·· الصدقة ليست حلا للمشاكل ولكنها عجز عن ايجاد حل ·· وسد ·· خانة ·· فقط ··



وأنا أبحث الآن عن الخطيب لاستولى على نصف راتبه ‥ وأبحث عن السامعين لأوزع عليهم مقالى مجانا ‥

***

لقد تذكرت حال الفنانين التعساء فى الأجيال التى مضت ‥ حال الشعراء ‥ وهم يدخلون على الخليفة ‥ فيقبلون الأرض بين يديه ‥ وينشدون قصيدة كلها أكاذيب ‥ عن عدله وكرمه وجماله وبهائه ‥ فيلقى اليهم بكيس من الدراهم ويأمر لهم بخلعة ‥ ويخرجون من بلاطه كطابور ذليل من الشحاذين ‥

لقد تصدق عليهم ‥ وكذبوا عليه ‥ وهذه نتيجة طبيعية ‥ ان يبادلوه رذيلة برذيلة ‥ واذا سلبت الانسان كرامته فلا تستكثر عليه أى شىء حتى ولو كان فنانا ‥ وانما هو يتفوق فى شره ويبدع فى رذيلته اذا كان فنانا .

لقد تصورت نفسى وأنا أنشد هذا المقال بين يديك فتتثاءب وتنام ‥ أو تطردنى ‥ أو تعطينى ساندويتشا ‥ وحمدت الله على أن المجلة توفر على مؤونة مواجهتك ‥ وحمدت الله على أنى لست المتنبى . وعلى انك لست الخليفة ‥

***

وتصورت نفسى مرة أخرى وقد أفلست فجلست أشحذ أفكارا على الرصيف ‥ ومددت يدى أهتف ‥

مقال لله يا أسيادى ‥ قصة حب لجل النبى ‥ رواية مسلسلة نعشى بيها العيال ‥

والى جوارى طبيب مفلس يمد يده هو الآخر ‥

مغص يا أهل الله ‥ اسهال يامحسنين ‥ كشف يتيم يبارك لكو فى عيالكو ‥ ولاده بالعدة يجبر بخاطركم الكريم .

وحانوتى يندب حظه على الرصيف الآخر ..

ميت يا أخواننا .. مرحوم عليه القيمة نستر بيه عرضنا .. مأسوف على شبابه ندفنه وندعيلكم .

تصورت المجتمع وهو يشحذ .. وتصورت المجتمع وهو يتصدق .. وضحكت من تعاسته فى الحالين .

***

كنت فى مقهى منذ أيام فدخل علينا شحاذ يلبس طربوشا وجلبابا ويمسك بعصا محببة .. ودار بعينه فى المقهى ثم اختار عمدة يجلس الى طاولة يعد عليها نقوده .. واقترب منه فى هدوء .. ووضع يده على كتفه ..

ـ انت عارف أنا مين .

وانتفض العمدة ورفع بصره ..

ـ ماتشرفناش يافندم ..

ـ أنا على ..

ـ أهلا ياسى على ..

ـ أنا جاى من عند الدكتور دلوقتى .

وسكت قليلا ونظر الى العمدة .

ـ والدكتور كتب لى على بنسلين ..

ـ بالشفا ..

ـ ولحمه ضانى .

ـ كويس ··

ـ كويس ازاى اذا كان مامعيش فلوس ··

ـ طب وانا حاعملك ايه يا أخى

ـ تدينى جنيه من دول ياأخى ··

ونظر اليه فى حدة ولوح بالعصا ·· وتخلعت مفاصل العمـــدة وأيقن أنه فى حضرة رجل مجنون ·· يمكن أن يفعل به أى شىء ·· ومد يده المرتجفة ·· وناوله الجنيه ·· وسقط على كرسيه يلهث··

لقد تطورت الشحاذة وتطورت الصدقة ·· ولا شك أن هـــذه الصدقة كانت كالضريبة بالضبط ··

ان الفضائل نسيج حى يتطور باستمرار ويتعفن اذا حفظ · والفضائل المجففة ·· وفضائل العلب لاتصلح لأمعائنا الحديثة ··

وهذ هو الوقت الذى نراجع فيه فضائلنا قبل أن يهاجمنا رجـل مجنون فى الطريق ليأخذ منا ثمن اللحمة الضانى وثمن جهلنا أيضا ·

لنتصدق على انسانيتنا بالتفكير ··

انت تكسب حياتك حينما تنفقها .. وتكسب عمرك حينما تفقده.. فالسعادة هى الدفء الذى يتصاعد من حطبك كلما أحرقته واشعلت فيه النار ..

أين السعادة

اذا أرادت الأقدار أن تفسد انسانا أعطته كل ما يتمنى .. تصور نفسك وقد تيقظت فى الصباح فوجدت فى جيب سروالك مليون جنيه بالاضافة الى طعامك وسكنك وملبسك وزوجتك الجميلة وعضلاتك ومعدتك التى تهضم الحديد . مليون جنيه . بقشيش

انك تفقد عقلك وتصبح المليون جنيه عقلا جديدا تفكر به ..

سوف تلقى بساقيك على الرصيف وتبحث عن عربة .. ثم تلقى بالعربة وتبحث عن يخت ثم تلقى بالاثنين وتبحث عن طائرة ..

سوف تكف عن لعب الطاولة وتلعب البريدج والبوكر والباكاراه ثم تكف عن لعب الورق وتذهب لتصطاد البط ، ثم تمل صيد البط فتصطاد النساء .. ثم تمل النساء فتعكف على الخمر ..

سوف تقلع عن أكل العدس وتتغذى على الكافيار ، ثم تتقيأ وتستدعى كونسولتو من خمسة أطباء كبار ليفتحوا لك الشهية .. ويعكف الأطباء على فحصك ويتداولون فى مقدار ثروتك ، ثم يشخصون بالاجماع قرحة مزمنة فى المعدة ليضمنوا أتعابا مزمنة تتسرب الى جيوبهم ..

وسوف تند مليونك ثلاثة ملايين صغيرة ، وتصبح قرحة معدتك قرحتين وتتمتع بالاضافة الى هذا بالتهاب فى القولون وانقباض فى المرارة وآثار أملاح وسكر وزلال ٠٠

وتتسرب السعادة الى نفسك فتصيبها بمركب العظمة ٠٠ ومركب أوديب ٠٠ وعدة مركبات وعقد أخرى أرستقراطية مستعصية ٠٠

وترفض النوم من فرط السعادة ٠٠ وتتقلب على فراشك من الأرق لا يواتيك النعاس الا بالحقن والاقراص ٠٠

وتسمع نصيحة أصدقائك الكبار ٠٠ فتبدأ فى علاج متاعبك بالانغماس فى المجتمع ٠٠ فتنشىء جمعية للرحمة ٠٠ وجمعية لتحفيظ القرآن الكريم وجمعية لتربية القطط الضالة ٠٠ وجمعية لهواة الحشرات ٠٠ وجمعية لمحاربة التدخين والمسكرات والبصق فى الشوارع ٠٠ وتنفق على هذه الجمعيات من جيبك الخاص بالاضافة الى السهر الى منتصف الليل فى جمع طوابع البريد والتحف والسجاجيد والنقود البرونزية القديمة ٠٠

وتشجع الفلسفة فتحتضن ناديا للوجودية تمده بالنساء واللوحات العارية وتشجع الفن فتنشىء متحفا للفن السوريالى ٠٠

وتشجع النهضات الدينية فتدعو الى مذهب جديد فى التسامح وصلاة جديدة تقرأ فيها أمزجة من الكتب السماوية على طريقة غاندى وتتحمس لمذهبك لدرجة الموت والسجن مثلا ٠٠ وتحتج وتضرب وتعتصم فى بيتك وتصوم وتتغذى على الجلوكوز وتحتل الأعمدة الأولى من صفحات الجرائد ٠٠

ويزداد وزنك من فرط الكفاح الى عدة أضعافه فتذهب الى اكس ليبان لتفقد عدة أرطال من الشحم المتراكم على قلبك وتتزوج هناك

بمارلين مونرو وتعود شابا صغيرا رشيقا لتعاود الكفاح من جديد ..

وتنفق نصف ثروتك فى كفاح الصلع والشيخوخة والنقرس وارتخاء الأعصاب وبعد عمر كامل من النشاط والبحث عن البترول والذهب والسعادة .. تكتشف أنك لم تبلغ اللذة أبدا .. فتعود الى الدين والصلاة والصيام .. ثم تصاب بنكسة فتعود تبحث عن اللذة أخيرا فى الشذوذ الجنسى .. ثم تنتحر فى النهاية من فرط الخجل ..

هذا خط طويل لحياة تجد منها نسخا متكررة كل يوم .. هذه الحياة اسمها الترف .. والبسطاء يعتقدون ان الترف هو الطريق الوحيد المستقيم المؤدى الى السعادة .. وهذا وهم ونكته فى الغالب .. وأسخف منه النكتة الأخرى التى تقول : « السعادة فى الفقر .. فالرجل المترف شقى والرجل الفقير أشقى منه .. ومعنى السعادة هو شيء آخر غير الغنى وغير الفقر » ..

معنى السعادة فى الوظيفة .. فأنت كائن حى لك وظائف نحو نفسك .. ووظائف نحو مجتمعك .. وبالقدر الذى تتخذ فيه وظائفك شكلها الطبيعى وسيرها الطبيعى وتؤلف مع الوظائف الأخرى فى مجتمعها « هارمونى » تكون انسانا سعيدا .. فالسيقان خلقت للمشى .. والأسنان للمضغ واللسان للكلام .. والعقل للتفكير والقلب للحب والضمير لضبط ايقاع هذه الحركات كلها ..

والسعادة فى العمل المتصل الذى يضع كل هذه الأعضاء فى وظائفها ويكرسها لهدف واحد طبيعى تتقدم به الحياة ..

أما أن تكرس ساقيك وعقلك وقلبك وضميرك لجمع الطوابع مثلا فعمل غير طبيعى لا يعود عليك بالسعادة .. وانما يخلق لك القلق دون أن تدرى ..

وتصور رجلا ينظر بفمه ويأكل بعينيه ويمضـــغ بســـاقيه ‥ ويمشى على يديه ‥ انه شيء خرافى ‥ ولكن أكثرنا يفعل مثل هذا دون أن يدرى ‥ فيوظف حيوتيه فى غير وظائفها ‥ ثم يبكى بعد هذا لأنه لم يبلغ السعادة ‥

المال ‥ والقوة ‥ والصحة ‥ والعمر الطويل ‥ والحـــرية وسائل للسعادة ‥ وليست سعادات فى ذاتها ‥ وسائل لتشغيل طاقتنا الحية ‥ وبدونها نتعطل ونكف عن الحركة والحياة ‥

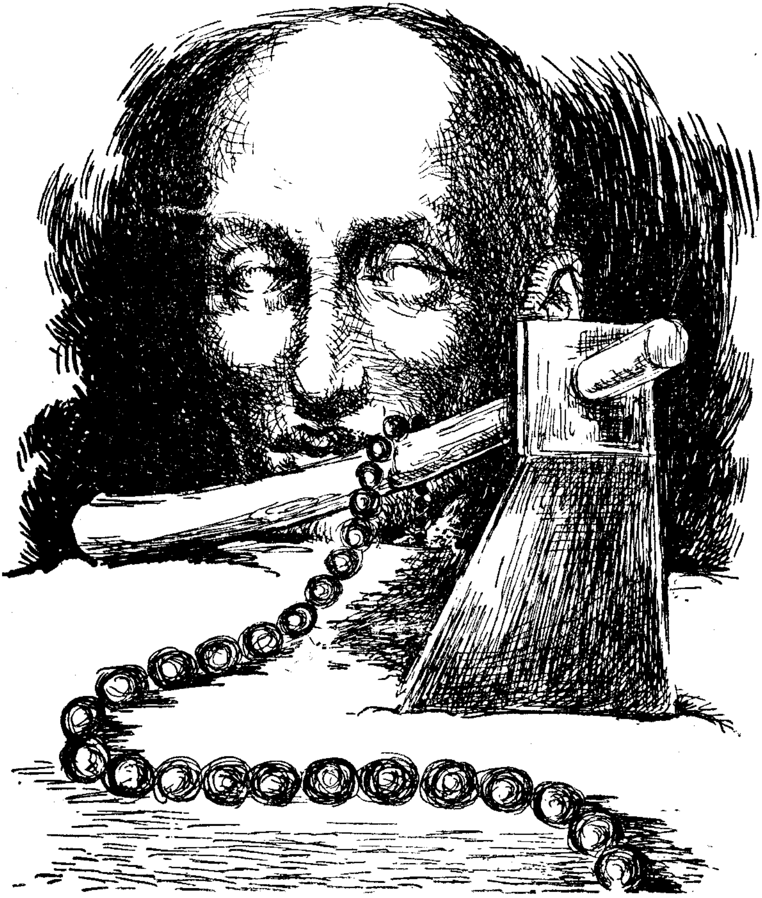
المليون جنيه قوة ‥ طريقها الطبيعى بالنســبة لرجل غـــنى أن ينفقها على غيره ‥ ان الطبيعة تمقت التعطل وكل فراغ يتواجد فى الحياة يمتلىء من تلقاء نفسه بالهم والشقاء ‥

ان النحل بعد أن يلقح أنثاه يسقط ميتا لأن حياته كانت ممارسة وظيفته فقط ‥ وكذلك فراشة دودة القز ‥ تموت بعد أن تضـــع البيض ‥ لأن وظيفتها انتهت ‥

والطبيعة لا تستطيع أن تقتل الانسان الأنانى كما تقتل النمل والفراش ، ولكنها تستطيع أن تميت قلبه وتميت أعصابه وتعذبه بثلاجة الملل وهذا عقاب الطبيعة لمن لا يعمل ‥

والأديان سـبب من أسباب الخلط فى معنى السعادة لأنهـا هى التى قالت عن الزنى والخمر لذات ، وحرمتها فتحولت هذه المحرمات الى أهداف يجرى وراءها البسطاء والسذج على أنها ســـعادة وهى ليست بسعادة على الاطلاق ‥

اننا نقول عن الأنبياء والرسل والمفكرين والشهداء انهم شقوا وتعذبوا من أجل الانسانية ‥ والحقيقة أنهم لم يتعذبوا وانمـــا سعدوا بأعمالهم ‥ فسعادة الرسول هى تبليغ رسالته وســـعادة المفكر هى ممارسة تفكيره ‥ والشقاء الحق لهؤلاء أن يحجر عـــلى



أفكارهم ويجبروا على الحياة العادية الصغيرة التى تشبه حياتى وحياتك ..

الشقاء هو العقبة بين العضو ووظيفته بين العقل وتفكيره .. وبين القلب وعاطفته والضمير وحريته ، والخيال وانطلاقه ..

والسعادة هى اندفاع الطاقة الانسانية حرة فى طريقها الطبيعى تتكلم وتبنى وتفكر وتتفنن ..

الذى يحول بينك وبين البكاء يشقيك أكثر من البكاء نفسه .. وربما كان البكاء سعادة أحيانا اذا كان تعبيرا حرا صادقا .. منطلقا بدون تزييف .. ومثل هذا البكاء يسعد أكثر من الضحكة المغتصبة والابتسامة الصفراء ..

والكدح الخصب المنتج يسعد صاحبه أكثر من الراحة والتفكير المتراخي المفلس

والكفاح الذى يشحذ المواهب ويوظف الأعضاء وينبه الغدد هو الطريق الوحيد الى السعادة .. فأنت تكسب حياتك بأن تنفقها وتكسب عمرك بأن تفقده ، والسعادة هى الدفء الذى يتصاعد من حطبك كلما أحرقته وأشعلت فيه النار

واذا تيقظت فوجدت فى جيب بنطلونك مليون جنيه فكر فى أحسن طريقة لتوزيعها على الناس فبهذا وحده يمكنك ان تبلغ السعادة التى تتمناها ..

***

● انى كلما فكرت .. بدأت أعتقد أن المرأة لم تخرج من ضـلع الرجل .. وانمـا الرجـل هو الـذى خـرج من ضلعها .. الرجل الصغير الثرثار.. ●

المـــرأة

منذ أكثر من ألف عام .. كانت المرأة أرخص من العبد .. كان اليهود يضعونها مع الماشية .. ويحـكمون عـلى الأم التى تلد أنثى ان تتطهر مرتين .. والا توقد شمعه ..

وكان اليهودى يصلى كل يوم قائلا

ـ أشكرك يارب .. لأنك لم تخلقنى كافرا ولا امرأة ..

وكان الرجال فى تاهيتى يستخدمون النســـاء فى ارضـــاع الخنازير ..

وكان نيتشـــه ينصح الرجـــل اذا ذهب الى امرأته أن يأخـذ معه الســـوط ..

كانت المرأة شيئا هينا ذليلا .. مجرد ضلع من ضلوع الرجل ..

كانت الحرية مؤنثة بالاسم فقط .. ولـكنها ظلت وقفـا عـلى الرجال .. وعاشت المرأة مئا ت السـنين مضطهدة مظلومة .. ولم ينقذها من الموت الا انها كانت تلد الجند وتمد الجيوش بذخيدة من لحمها ودمها ..

فهل كان انتقاما منها أن تتخابث لتحصـــل على حقوقهـــا بالحيلة ..

لقد ادعت المرأة انها ضعيفة وهى قوية ..

وقالت انها عاطفية .. وهى عملية ..

وظهرت أمامنا حالمة وهى يقظانه ..

ومثلت دور الصيد وهى الصياد ..

وتمسكت بالعفة لأنها تؤدى الى عكس معناها .. الى الاغراء والاثارة .. والرغبة الجنسية واخترعت فن المطبخ حينما علمت ان بطن الرجل توصل الى قلبه ..

واخترعت الغيره لتسلب الرجل حريته كما سلبها حريتها .. وتضيق عليه كما ضيق عليها ..

فهى تتوسل بالغيرة كى تعزله عن عشيقاته وعن أصدقائه وصفحه وكتبه وآلاته الموسيقية .. ثم تغلق عليه الباب كما أغلق عليها الباب بأسلوب رشيق أنيق .

***

هل كان انتقاما من المرأة ان تتخابث كل هذا الخبث ..

لا أظن .. لقد كان نبلا .. فقد لعبت المرأة بالرجل لتصنع منه زوجا .. وسجنته فى البيت لصالح أطفالها ..

وبعد هذا غفرت له ما تبقى من خطاياه ..

***

وقد ظلت المرأة أمينة على بيتها حتى تغير من حولها الناس ..

وفتحت عينها ذات يوم فوجدت المجتمع أصبح مصنعا كبيرا يتحارب بالشيكات ويسطو على أولادها ويسرق منها قوتها .. فتركت بيتها وخرجت الى الشارع لتكافح الى جوار الرجل ..



ورحب بها صاحب المصنع لأن أجرها أرخص من أجر زوجها ونقلها من عبودية البيت الى عبودية الورشة ..

وأصبح البيت فارغا بعد أن هجره سكانه ليعيشوا فى عنابر وصناديق

وقلدت المرأة الرجل فى تدخينه .. وفجوره .. والحاده .. وفى طريقة تصفيف شعره .. ولبسه السراويل .. وتحولت بالتدريج من ربة بيت الى محظية .. وخليلة .. وبدأ البيت ينهار ..

وأصبح الحمل بالنسبة لها خطرا .. لأنها تعمل طول يومها .. فبدأت تمنع الحمل وتحدد النسل .. وتناقص الأطفال فى العائلة شيئا فشيئا حتى أشرفت الاسرة هى الأخرى على الانهيار

وبدأ نظام جديد يظهر .. هو نظام الزواج الحر .. الزواج بلا عقد .. وبلا نفقات .. وبلا بيت .. وبلا أطفال ..

***

لقد تحررت المرأة من البيت .. وتحررت من الحمل .. وبقيت بقلب عاطل ..

ان المرأة الحديثة فى شوق دائم الى زوج .. لأنها لم تنس عظمة الأمومة ..

والرجل العصرى يهرب من الزواج لأن المرأة لم تعد تقدم له شيئا يذكر .. فهو قد استراح الى العزوبة والى العلاقات التى تتجدد كل يوم وتتجدد بها شهيته ..

لقد عادت عجلة الظلم لتدوس على الأم العظيمة مرة أخرى ..

ولكن المرأة ذكيه ..

لقد خرجت الى الشارع .. ودخلت المدرسة .. وقرأت الكتاب

.. وسبقت الرجل فى كل شىء حتى فى رجولته .. فأصبحت تلبس فساتين من الدبلان الرخيص فى الوقت الذى بدأ فيه الرجل يلبس القمصان المشجرة .. واندفعت بسرعة فى كل ميدان .. بحرارة طفلة عنيدة مليئة بالاصرار .. بينما جلس الرجل يتفرج عليها .. ويتاءب متعبا على الرصيف ..

***

وأفاق الرجال ليجدوا دنياهم قد تغيرت ..

تغيرت بيوت زمان وخرجت أحشاؤها .. فأصبح نصفها فى المكاتب ونصفها فى غرف النوم .. وهى ماضية فى الهجرة الى الشارع شيئا فشيئا ..

وفى المستقبل لن يبقى فى البيوت الا العجزة أمثالى .. عاكفين على أحواض الغسيل .. أمام الصحون يحلمون بشمشون الذى حلقت له المرأة رأسه ..

وفى المستقبل سوف تصبح المرأة كالخليفة لها جوارى من الجنس الخشن وخصيان .. وعبيد

***

انى كلما فكرت .. بدأت أعتقد أن المرأة لم تخرج من ضلع الرجل .. وانما الرجل هو الذى خرج من ضلعها .. الرجل الصغير الثرثار ..

● منذ فجر البشرية والأديان تتغير والعقـائد تتبدل •• الا دين واحد ظل كمـا هو •• واسمه الحب ●

الحب العصرى

الحياة بدون حب مستحيلة ••

قد يخيل اليك أنك تعيش بلا عـــواطف •• وانك لاتحب شيئا •• ولكنك دائما تحب دون أن تدرى ••

انت تحب الله أو أمك أو أباك أو امرأة أو قطة أو صنما أو فنا أو بدأ أو رسالة •• لأن فيك شواقا لا يطفئها الا التعلق ••

وليلى هى التى تفوز دائما بأكثر هذا الحب لإنها أجمل من القطة أجمل من الصنم واكثر واقعية من المثل والرسالات والمبادىء ••

وهذه هى المشكلة منذ القدم •• المرأة تصرخ من أعماقها •• أريد جلا •• والرجل يصرخ من أعماقه أريد أمرأة ••

فينا من هو مثل تيريزا فى قصة جوركى •• من يجلس ليســود خطابات ملتهبة الى عشاق خياليين لاوجود لهم ••

وفينا من يكتب خطابا من عشر نسخ بالكربون لعشرة عشـــاق حقيقيين فى وقت واحد ••

وفينا من يكتب بدموعه •• ومن يشف من كتـــاب المنفلوطى ثم وقع باسمه أو شفتيه أو نقطة من دمه •

وفينا من يكتب لحبيبته مقطوعة جنائزية عنيفة من شعر شكسبير يموت فيها سبعة فى مبارزة عنيفة من أجل أمرأة ..

وفى النهاية كلنا نحب .. ونكتب عن الحب .. ونمارس الحب .. بأسلوب أو بآخر ونكاد نصنع من الحب دينا .. فنعشق أنبياءنا ونعبد عشيقاتنا .. وترى الواحد منا يحب فتظن أنه يصلى ..

وفى قصة مجنون ليلى ترى قيس لايذهب ليحتضن ليـــلاه .. **وانما يستلقى فى عرض الصحراء ليقول فيها الشعر ويتغنى بعيونها** التى تشبه عيون المها .. ويجوع ويتعرى وينحـل ويذبل ويتشرد كالمجنون ..

هـذه الصـــوفية ظلت تمتزج بعواطفنا مدة طويلة .. حتى بدأ شبابنا العصرى يتخطاها .. ويقتلها بمزاولتها على نطاق واسع .. فأصبح شعار روميو الجديد ان تكون له أكثر من جولييت ..

لقد بكى على حبه الاول مثل قيس ..

ثم اكتفى بالحزن على الثانى ..

ثم دفن الثالث فى صمت ..

ثم أصبح كالحانوتى يدفن الميت ويسرق كفنه ..

وتحول من قيس الى كازانوفا .. يسرق قلوب النســـاء .. ولا يبادلهم الحب الا على الفراش ..

أما المرأة فكانت دائما أكثر واقعية من الرجل ..

لقد ظلت تفضل فى الرجل جيبه ومركزه ولقبه على جماله ولمعه شعرة ..

blank page ..... sorry!!

...... BADER

وكازانوفا العصرى ليس ذئبا كما تظنه المرأة ·· بل هـــو فى حقيقته رجل غلبان يريد ان يعيش ولكن عدم التكافؤ فى الفهم ·· وحياة الكبت والقلق والشك والازمة التى عاش فيهـا من يوم ميلاده هى التى دفعته الى الانحراف وطلب المتعة والعلاقات المتجددة ··

وهو يعلم أن انتصاراته فى معارك الحب هى فشل فى معارك الحياة ولكنه يمعن فى الاغراق فيها لينسى ·· وفى النهاية يختم حيـــاته بزواج سىء يدل على التعب ·· على تعبه من الشك والحيرة والتردد

ان الحب اليوم يمر على مرحلة تطور وانتقال ·· فقد بدأ ·· حالة دينية صوفية ·· تتعبد الجمال ·

ثم تحول الى انفعالات جنسية ·· تتأمل المرأة من أسفل الى أعلى

وهو فى طريقه الى النضج ··

حينما ينضج سوف تتجمع النظرتان فى نظرة واحدة شـــاملة ·· تتذوق الشخصية وتتعرف على ملامح القلب من داخـل الجسد ·· وتفهم أهمية المادة وأهمية الروح ··

جيلنا كله يمر على هذه التجربة ·· ونحن للاسف نذهب وقودالها

● ان التطور محاولة للحياة تقبل الصواب والخطأ .. ونحن نتقدم على مسار الزمن ولكن الحظ الذى يسير بنا الى الامام ليس مستقيما .. وانما هو يتعرج أحيانا هنا .. وهناك .. ●

معنى التقدم

اذا كان فرويد يقول أن مفتاح سلوك الرجل الناضج فى طفولته .. فأنا أظن أيضا أن مفتاح مستقبل البشر فى تاريخهم.. فالتاريخ هو طفولتنا البعيدة ..البعيدة جدا..

لقد بدأ تاريخنا فى آسيا ..

كان الآريون والمغول والعرب . والترك يخرجون من آسيا كالجراد .. ويغيرون على أوروبا يحملون معهم زوبعة من الأديان الجديدة ..

حملوا معهم الهندوسية والبوذية .. واليهودية والاسلام . ونهبوا التيجان والجوارى الحسان ، وخزائن الفضة والذهب والماس.. والماس ..

وظلت أوروبا زمنا طويلا مستعمرة صغيرة لآسيا .. ولكن التاريخ بلا قلب .. أنه يعود فينسى الماضى .. فينزل الانجليز من أقصى الغرب يسوقون أمامهم أبناء آسيا وافريقيا التعساء ، ويشحنونهم فى أقفاص كأقفاص الدجاج ثم يرسلونهم عبر البحر الى فرجينيا وكارولينا ليعملوا جماعات فى حقول التبغ الشاسعة حيث يعيشون ويموتون هناك كما يموت الذباب ..

لقد تحول التاريخ وباتت آسيا مستعمرة كبيرة فى قبضة الأوروبيين .

تحول العبد الى سيد والسيد الى عبد . وماتت حضارات وولدت حضارات

.. سقطت مصر وسقطت اليونان ، وفقدت روما تيجانها .. وداس العلم على العصور الوسطى المظلمة .. ثم نشأت الآلة لتدوس على الناس فى المصانع وفى الأكواخ ، وظهر الاستعمار ليدوس على الكل ..

وأصبح الفراعنة والاغريق والروم موميات فى المتاحف ، وتسالى يقطع بها السواح وقتهم .. وينفقون عليها ملايينهم التى جمعوها من صناعة الدبابيس والترتر وأحمر الشفاه ..

أنها قصة طويلة تستطيع أن ترويها على أطفالك مع قصص العفاريت .. فلا يصدقونها .. فتبيت تحلم وحدك .. تحلم وتتساءل ..

هل نحن نتقدم .. هل نتقدم حقا أم أنها قصة واحدة .. تتغير فيها الأسماء ويظل التأخر باقيا كما هو ؟ .

***

لقد كان الطغاة القدماء يكتسحون الأرض بسكانها ، ويحولون الكل الى عبيد أرقاء .. ثم تطور الطغيان .. فأصبح الغازى يكتفى بأن ينهب الأرض ويترك سكانها أحرارا ليعتصر دماءهم فى الضرائب . ثم تطور أخيرا الى شيطان عطوف دائم الابتسام لا يمس الارض ولا يمس سكانها .. وانما فقط يستولى على ثروتهم ..

لقد بدأنا عبيدا للأرض .. وانتهينا عبيدا للأجر ..

كنا نعبد عجل آبيس ·· فأصبحنا نعبد البنك العثمانى ·· ذهبت طاقة التطور فى تغيير الأسماء ··

أصبح الطاغية اذا أراد أن يشنق « على راحته » أطلق على المشنقة كلمة كنيسة وبدأ يشنق تحت ستار الدين والرب والوصايا العشر ··

واذا أراد ان يقتل الفن اطلق عليه كلمة دعارة ··

واذا أراد أن يخنق الفكر اطلق عليه كلمة الحاد ··

فهل هذا هو التقدم ؟ ··

هل استبدال حرب السيوف والحجارة والمنجنيقات بالحرب الذرية تقدم ؟ ··

هل ركوب القطار بدلا من ركوب الحمار تقدم ؟ ··

وهل تعاطى طبق من أقراص الفيتامينات بدلا من طبق من الخضر تقدم ؟ ··

وما هو المقياس الذى نقيس به التقدم ؟··

ان القوة وحدها ليست مقياسا ·· فالرجل القوى قد ينفق قوته فى المخدرات وقد يتراخى تحت شجرة كالبهيمة لينام ·· وقد ينفق قوته فى العدوان وهو فى هذه الحالات كلها ليس متقدما فى شىء

والسرعة ليست مقياسا للتقدم ·· فاذا درت حول الارض بطائرة صاروخية لألقى عليها القنابل ·· فانه لأفضل لى ، وللتقدم أن أدور حولها بحمار فى عشر سنوات لأبذر القمح ·· فالسرعة فى ذاتها ليس لها معنى ·· وانما الهدف من السرعة هو المهم ··

واذا طال عمرى حتى بلغ مائتى عام فلن يصنع منى انسانا متقدما

على اجدادى .. اذا كنت سأنفق هـــــذا العمر المرذول فى لعب البوكر ..

أن العلم يضيف الى يدى قوة على حكم الطبيعة .. ولكنه لا يضيف الى ارادتى قوة على حكم نفسى .. وهو لهذا .. ليس تقدما ..

العلم لعبة من الاعيب الذكاء البشرى يلعب بها الأطفال الـكبار أمثالنا .. فهم يلهون بالذرة والالكترون..بدلا من النفيخةوعفريت النسوان .. ولكن معنى التقدم فى توظيف العلم وليس فى العـلم ذاته ..

والتدين لايضيف شيئا الا الحضارة فليست العبـــادة هى التى ترفع من شأن الانسان .. وانما نوع المعبود .. هل هو الشمس أو البقرة أو الصنم ، أو النار أو الله .. وماهيه العبادة نفسها هل هى وعى كونى أو روتين يومى كلعب الطاولة ..

لا القوة اذن ولا الصحة ولا السرعة ولا العلم ، ولا الدين تـكفى لتحقيق التقدم .. وانما هى وسائل ..

وانما معنى التقدم يتحقق فى شىء واحد .. الحرية .. والحرية فى ذاتها تحتاج الى علم وصحة وقوة وسرعة لتتحقق على نطاق واسع وتصل الى كل الناس .. كما يصل اليهم الماء من الصـــــنبور كل يوم ..

ان التطور محاولة للحياة تقبل الصواب والخطأ .. ونحن نتقدم على مسار الزمن الطويل .. ولكن الخط الذى يسير بنا الى الأمام ليس مستقيما وانما هو يتعرج أحيانا .. هنا .. وهناك ..

● ان الأخلاق الكبيرة تبتلع الاخلاق الصغيرة كما تبتلع القطط الفئران ··· والضمير الانسانى ينمو كل يوم وينتفخ وتزداد عليه الأعباء ●

معنى الضمير

ما أكثر الوقت الذى يذهب سدى ، وما أقسى اللحظات التى تموت بين يديك دون أن تنتفع بها ··

لو استطعت أن تحيل الحكمة كلها الى سطر واحد أو كلمة صغيرة لفعلت ، فأنت تريد أن تشرب الحياة جرعة واحدة ·· فالساعة تدق الى جوارك ، والعمر يمضى وأنت تريد أن تستوعب كل شىء ·· تريد أن تحس بكل السعادات وتعرف كل الحقائق وتدرك كل الخفايا ··

لا شىء يكفيك ··

ولا شىء يكفينى ··

ولا شىء يكفى أحدا ··

أنت تتطلع الى ما فى رأسى ، وأنا أتطلع الى ما فى يدك ·· وكلانا يتطلع الى ما فى الغد ·· نحاول أن نأخذ منه ضعف احتمالاته ··

وأشد ما يعذبنا ·· جلاد ·· فى نفوسنا ·· اسمه الضمير ·· لا يعرف ميزانا سوى ميزانه ، جلاد يبخس كل مجهود ·· ويستخرج فى كل عمل عيبا ولا يفتأ يطالبنا بالكمال ، وكلما بلغنا هدفا طالبنا بهدف آخر ··

انه مثل قاطع الطريق « بروكوست » فى الخرافة اليونانية ال

كان يقطع الطريق على الناس ، ثم يخلع عنهم ثيابهم ويضعهم على سرير من حديد ، فاذا وجدهم أطول منه قطع أرجلهم ، واذا وجدهم أقصر منه ‥ شد رؤوسهم وأقدامهم بالحبال ليساوى بينهم وبينه .

وهو لا يجد الطول الذى يطلبه أبدا لأن سريره مصنوع من الأحلام ‥ من أحلام البشر ‥ والبشر يحلمون دائما بما ليس لديهم ‥

الضمير قوة فى داخل الانسان تطالبه كل يوم بمطالب جديدة ‥ قوة ذات أهداف متحركة ‥ كلما اقترب منها ‥ ابتعدت عنه ‥ وكلما قبض عليها تبدلت فى يديه وفقدت حرارتها ‥ قوة لها قصة طويلة فى تاريخ البشرية وفى تطورها ‥

***

فى البداية ‥ كانت الأرض تعج بالحيوانات ، وكان المجتمع القديم غابة كثيفة ومستنقعا تنقنق فيه الضفادع ، وتعوى الذئاب ، وكانت الحياة تأكل بعضها فى وحشية ، وكانت الامطار والسيول والزلازل والبراكين والبروق والرعود تدمدم فى الفضاء فيرتعد حيوان صغير يقف على ساقين ويتطلع من فجوة كهفه ‥ هو الانسان الأول ‥

كان يتطلع الى السماء فى خوف ‥

ان كل شىء حوله لا يتغير الا السماء

انها تضىء بالنهار وتتحول بالليل الى فحمة سوداء ، ثم لا تلبث أن تهطل سيولا وترعد وتبرق وتقذف بالشهب .

ويسجد وهو يرتعد ، وقد تصور أن فى السماء أرواحا تحكمه ‥

وبمضى الزمن نشأت الاديان البدائية التى تعبد الشمس والنار ، ونشأت طوائف الكهنة من السحرة والمشعوذين

ونشأ الضمير الاول ·· من الخوف والجوع ··

★★★

ولكن الانسان ما لبث أن أدركه الشك وأشاح بوجهه عن السماء ·· وبدأ يتطلع الى الارض ··

وبدأ يعرف الشبع ويسيطر على الخوف ويتخذ له ضميرا جديدا ··

كانت فضيلته الأولى هى الأسباب التى يحفظ بها كيانه كفرد فى عالم يسود فيه الذئب ولكنه تزوج ·· وعرف الأسرة ، وأصبحت فضيلته الجديدة تشمل خيره وخير أولاده ··

واتسع ضميره لحساب اضافى وتكاليف اضافية ··

ولم يكتف بالأسرة بل تجمع فى قبيلة كبيرة من عدة أسر ، وضاعت عصبيته العائلية فى عصبية شملت مصالح القبيلة كلها ·· ومر الزمن ··

وتصدعت القبيلة أمام امتحان الحياة العسير ·· فتجمعت فى قبائل · لتواجه الأخطار ، ونشأت الدولة ·· وذابت العصبية فى احساس جديد هو الوطنية ·

ولكن الدولة لم تسطتع أن تعيش فى أمان فلجأت الى التكتل ، ويدأ الانسان للمرة الاولى يتجاوز وطنه لينظر نظرة شاملة الى الانسانية فى فضول الريفى الذى يتطلع الى مدينة وسعة ، ويتفرج على شوارعها المرصوفة المضاءة بالكهرباء ·

وبدأت الوطنية تذوب فى احساس انسانى شامل ··

وأصبح الضمير فى النهاية جهازا ، معقدا يضم مطالب العالم الكبير ، وأصبح الخير هو خير الكل ، والشر هو شر الكل ·

وابتلعت الأخلاق الكبيرة الاخلاق الصغيرة كما قال ميرابو ،

وأدرك الافراد أنهم يموتون ويتركون آثارهم فى حوض مشترك يشرب منه الناس ·

***

هذه هى القصة التى نطالع آخر أخبارها ونحن أطفال ، ونقرؤها فى الكتب والتعاليم والمبادىء ، ونلتقطها بالعدوى من آبائنا ومدرسينا ··

ونراها شاخصة أمامنا فى المجتمع حينما نفتح عيوننا ·· حقيقة ملموسة يسهر على حمايتها الجيش والبوليس ورجال القضاء والمحامون والساسة ··

ان الحكومة هى ضمير المجتمع المسلح الذى يسهر على حراسة خزينة المثاليات التى كسبتها الانسانية بالدم والعرق ·

ولكن المجتمع نفسه أداة ·· وليس غاية ·· لقد اتخذه الفرد درعا ليواجه به حياة شاقة وليوسع من حريته ويضاعف من طاقاته ··

ان حرية الفرد شرط أساسى فى العقد الاجتماعى ··

لقد صنع الفرد أسرة ثم ألف قبيلة ثم أقام دولة ·· ثم اشترك فى عالم كبير ·· بهدف واحد ·· هو صيانة حياته ··

وهو يحمل عبء الانسانية ويضحى بخيره فى سبيل خير الكل

.. لانه يريد أن يهزم الخوف والجهل والفقر والمرض ويقضى على الموت والهزيمة ..

وهذا يرد كل الفضائل الى أصل واحد هو حفظ الحياة .. وبقاؤها وتحسينها .

والذين يصنعون لنا الفضائل .. ويربون فينا الضمير .. هم أفراد قلائل حالمون .. أنبياء وفلاسفة .. امتازوا علينا بالحس المرهف والبصر العميق ، والتصور الدقيق للكمال ..

كان الأنبياء يحلمون كما كان أفلاطون يحلم فى جمهوريته ، ثم تركوا أحلامهم تعمل فى ضمائر الناس ..

كانوا يشعلون الفتيل .. ثم يتركون كتبهم لتنفجر فى التاريخ كالقنابل الزمنية .

ولو بعث موسى حيا .. لما صدقأن الناس حاربوا من أجل أفكاره كل هذه الحروب الدامية ..

ان الضمير هو نتيجة تفاعل عنيف بين الفرد وبيئته ، وهو يرتد فى النهاية الى قيمة مرتبطة بالحياة ..

انه يشبه صماما من صمامات القلب التى تسمح بتحرك الدم فى اتجاه واحد الى الامام فقط .. الى الشرايين الصغيرة التى تغذى الجسم ، وتروى خلايا المجتمع .

وهو أكثر من مجرد صمام .. انه طلمبة أيضا .. تدفع الدم دفعا بقوة فطرية فى داخلها ..

ان الضمير ليس مكتسبا كله .. انه فطرة خالصة ، وهو يتطور فى الشكل والقالب متأثرا بالتربية والتعليم .. والاكتساب ، ولكن

روحه تظل حقيقة فطرية كالبروتوبلازم والخلية ، والحركة والنور ..

ومن هذه الفطرة تنبثق الاحلام ·· أحلام اليقظة العظيمة التى تطلب الحق والخير والجمال ·· وتشق مجارى الوعى التى تؤدى اليها ··

★★★

وحينما تصادف فى طريقك ·· رجلا نصف نعسان ·· يتساءل ساخرا ··

ما الفائدة من وضع ستة أزرار على كل المعطف وتعليق شرابه فى قمة الطربوش ··

ما الفائدة من لبس الاسنان الذهب ·· واطلاق اللحى ·· وقص الشوارب ·· لا تضحك عليه ·· فهذا التساؤل ينبع من مكان قديم مقدس هو الضمير الحائر أمام الحقيقة ·

ولسنا كالنحل ·· فضلاء بالغريزة نصنع العسل ولا نأكله . ونلقح الأناث ثم نموت ·· انما نحن آدميون نختار فضائلنا بوعى . وبعد ليال طويلة من السهر والأرق والتساؤل والتردد ·· وفى هذا تكمن كل قيمتنا ··

● كم ضحكت مرارا على الضعفاء الذين يحسبون أنفسهم فاضلين لأن ليس لهم مخالب ●

حول معنى العدالة

أن السماء لا تمطر خبزا .. ولا حريات ..
كل شيء في دنيانا صناعة أرضية .. حتى المثل العليا والأحلام ..

لقد مضى الزمن الذى كنا نتلقى فيه تعاليمنا من جبريل .. تحول أصحاب الرسالات الى أصحاب معامل وأصحاب مصانع وشركات ، وتحولت فضائلنا الى شيكات تصرف بشباك بنك باركليز ..

وأصبح فى امكان رجل مثل فورد أن يصنع جنة مزودة بالترام والترولى باس وتكييف الهواء والراديو ، وأنهار الويسكى والعسل ، والحوريات الفاتنات ، وأكواب المانجو المثلج ..

ويتمتع الى جوار هذا بحياته الدنيا .. فلا يضيع لحظة واحدة فى الصلاة ..

وفى استطاعته أيضا أن يشترى غفران البابا .. وأن يشترى ذمم أعضاء الكونجرس .. وأن يستأجر شعبين يتحاربان أمامه على سبيل التسلية ، وأن يستولى فى نفس الوقت على محطة اذاعة ومسرح وسينما وصحيفة ، ويذيع نشرات منتظمة من الأكاذيب على الناس ..

كل هذا أصبح ممكنا ..

والمصلون والرهبـــان وأصحاب اللحى .. أصبحوا فى خدمة أصحاب المـال دون أن يحسوا .. فهم يقومون بواجب يومي هام ، هو تشحيم المجتمع حتى لا تلتهب طبقاته من الاحتكاك الدائم . ولهذا يحرص فورد على طبع سبعة ملايين نســـخة من الانجيل ويقوم بتوزيعها مجانا على الفقراء والزنوج ..

لقد انعكست الآية .. وأصبحت السماء خاضعة لحكم الأرض ..

وكان لهذا الخضوع قصة طويلة تروى .. –

فى الزمن الأول كانت الأديان تقتل الناس وتقدمهم للآلهة ..

كان الفراعنة يلقون بامرأة حية فى النيل قربانا لاله الفيضان .. ثم أصبح العرب يلقون فيه بدمية .. واتضح أن اله الفيضـــان ضعيف البصر .. غلبان .. لا يفرق كثيرا بين الانسان والدمية !!

وكان الاغريق يذبحون الناس بالمئات عند أقدام آلهتهم .. ثم أصبحوا يذبحون الحيوانات ، ثم أصبحوا يقدمون الخبـــز المقدس والبسكويت ..

واتضح أن الآلهة تفضل البسكويت .. وأن معدتها تستريح على النشويات ..

وكانت بعض الأديان القديمة تحرم الزواج على كهنتهـا .. ثم أباحت الديانات العصرية الزواج ، وأباحت تعـدد الزوجات ..

وأباحت الطلاق .. وطالبت بحرية المرأة ، وطالبت بالدستور على الطريقة المودرن ..

كان الله نفسه أكثر واقعية من عباده ..

وكانت الحاجة متفوقة على الحلم منذ البداية ، ومطالب الأرض متغلبة على مطالب السماء ، ولكن التطور تلكأ بسبب الخجل .. خجل الانسان من مواجهة جسمه عاريا ، وادراك أهمية اللقمة ، وسلطان الفم الذى يأكل ..

وأضاع هذا الخجل كل شيء .. لأن الزمن لم يكن واقفا ، وانما كان يسير ..

كان المجتمع يسير من مجتمع يفلح ويزرع الى مجتمع صناعى هائل .. يمور بالنار والبخار ، ودفعت الكهرباء عجلة التطور دفعة أخرى .. فاختل التوازن ، وأصبحت امكانيات القوة فى المجتمع أكبر من امكانيات الوعى ، وتحولت الطاقة البشرية الى مارد مغفل يلهو بلعبة خطرة اسمها الحرية ..

أصبح فى امكان الفرد أن يمتلك بلا حدود ، وأن يقوى بلا حدود ، وتمخض هذا الوضع عن ظهور أمثال فورد .. بل ظهور دول بأسرها مثل اسرائيل ، وظهور حكومات داخل حكومات فى كل مكان تديرها المصارف والبنوك ، وظهور صراع سياسى عالمى بين معسكرين فى الشرق والغرب .. بينهما مئات الشعوب الصغيرة التى تضع يدها على قلبها فى اشفاق ..

وعاش هذا الصراع فى داخل كل فرد ، فهو حائر بين فرديته .. وبين احتياجات المجتمع الذى يعيش فيه ..

هو يطمع أن يكون الها مثل فورد ، ولكن المغامرة تبدو أمامه مثل اللوتارية .. تضيع فيها مليون فرصة وتكسب واحدة ، ولا أحد يضمن أنه سيكون الواحد فى المليون ..

وهو يريد حرية مطلقة ، ولكنه يعلم بالتجربة أن مثل هذه

الحرية ستكون على حساب ملايين قد يكون هو بينهم ، فترتد اليد التى أطلقها الى عنقه وتخنقه ..

وهو يريد أن يرتفع فوق حاجاته المادية ، ويعيش فى تأمل .. كالفقير الهندى ، ولكن زمن الروحانية انتهى ، والهنود أنفسهم تركوا التأمل وراحوا يصنعون الطائرات ..

وهو يتطلع الى السماء .. باحثا عن حل .. فيجد أن السماء ليس لديها أية فكرة عن حاله ، وأنه متروك وشأنه على الأرض يفعل ما يراه ، وأن كل شىء .. حتى المثل العليا والأحلام .. أصبحت تصنع محليا بأيد انسانية مثل الخزف والفخار ، وأن عليه أن يصنع مثالياته ، ويصوغ مصيره ..

عليه وحده أن يستخرج الحل من أفواه الناس .. ومن التاريخ ، ومن الكتب ..

وفى جمهورية أفلاطون حينما يسأل سقراط :

ــ ما معنى العدالة ؟

يجيبه ثراسيماخس :

ــ هى منفعة الأقوى .. فالأقوى هو الذى يضع القانون ويصوغه من مصالحه .. فيسمى منفعته عدلا ، وعلى الضعفاء أن يطيعوا .. فليست لهم فضيلة سوى الطاعة !!

وفى كتاب زرادشت يقول نيتشه :

ــ ضحكت مرارا على الضعفاء الذين يحسبون أنفسهم فاضلين لأن ليس لهم مخالب ..

ويقول ميكيافيلى : ان العدالة .. هى منفعة الأذكى ، وان أية

وسيلة ـ مهما كانت منحطة ـ هى عادلة اذا كانت لها غاية تبررها ، وان درهم من الذكاء أفضل من قنطار من الحق ..

ويقول المسيح : انه لا وجود للعدالة على الأرض ، وانما العدالة هى فى المملكة الثانية .. بعد الممات ، وان أكبر عقاب لعدوك الذى يصفعك على خدك هو أن تعطى له خدك الآخر ..

ولكن أفلاطون يعود فى نهـــاية جمهـــوريته فيستخلص المعنى الحقيقى للعدالة .. فيقول :

ان العدالة ليست منفعة الأقوياء ، وليست منفعة الأذكياء ، وانما هى تحقيق نظـام فى المجتمع يشبه تحقيق الصحة فى الجسد .. فيكون كل فرد فى مكانه .. يأخذعلى قدر حاجته ، ويعطى على قدر طاقته ، ويحقق بين اخوانه تعاونا فعالا ..

***

العدالة ليست قوة مطلقة ، ولـكنها قوة منسقة ..

ان أفلاطون بهذه الـكلمات القليلة يلخص المحنة التى نمر بها فى كلمتين :

ان العالم يحاول أن يحقق هذه القوة المنسقة فى مجتمعاته .. بحيث يصبح كل فرد فى مكانه .. يعمل على قدر طاقته .. ويأخذ على قدر حاجته ..

ولعل أفلاطون كان يعلم قصة التاريخ سلفا ، كان يعلم هـذه المحنة التى سنمر بها قبل ميعادها بأكثر من ألفى عام ..

وكان عصريا .. فصنع معنى للعـدالة من مادة الأرض ، ومن منافع البشر ، ولم ينتظر ليسقط عليه الوحى من السماء مع أنداء الفجر ..

أما نيتشه فقد ظل متشبثا بفضيلة القوة ·· حتى جن ، وتلفت حوله مرددا كلمته المـأثورة :

ـ الى متى ينتظر ذلك القسيس الأبله ·· ألم يعلم أن الله قد مات ؟

لقد أمعن فى الوحدة والعزلة وظل يعلو عن الناس حتى انفصل عنهم ، وفقد الاله الذى يعيش فى قلب الجماهير ، وانقطعت صلته بينبوع القوة ··

ولـكن نيتشه مازال حيـــا بيننا ·· مازلنا نراه كل يوم على مسرح السياسة ، ومازلنا نرى ميكيافيلى ··

ومازلنا نرى المسيح مصلوبا فى أقصى اليمين ··

وبين اليمين واليسار ·· يدور الصراع ·· والتاريخ يسير ·· ولا ينتظر ··

● ليس صحيحا ان الـذى ينتحر هو رجل زاهد فى الحياة رافض للملذات انه على العكس رجل يحب حياته لدرجة لا يطيــق معها فقــدان أى شىء ●●

لا تقتل نفسك

جدنا القرد يفكر تفكيرا سليما ..

كان لم يخطر له فى احدى المرات أن يصــعد على شجرة جوز الهند ليلقى بنفسه من فوقها .. وانما كان يصعد عليهــا فى الغالب ليبنى عشــا ، وكذلك أولاده القــرود .. وأحفــاده .. وأحفاد أحفاده من أولاد آدم ..

ولــكن المجتمع تطور .. وتحولت الغــابة التى كانت تســكنها القرود الى مدينة يجرى فيها الترام وتضيئها الــكهرباء ويســكنها آدميون يشربون الويســكى وعصير البرتقال .. ويتفرجــون عــلى الباليه والأوبرا والسينما سكوب ويقرءون الكتب ..

تحولت الغابة المليئة بالرعب الى جنة حافلة بالملذات والمتع .. فماذا حدث .. كيف احتفل الانسان بهذه الجنة الجديدة ..

لقد بدأ يشرب الفنيك واليزول ويطلق على رأسه النــار ويلقى بنفسه من اسطح العمارات ويتفنن فى قتل نفسه ..

لقد أصبحت الحياة لذيذة ممتعة لدرجة أثارت حب الانســان .. وأثارت بغضه فى وقت واحد .

أصبحت لذة المال تخلق المسرف الذى ينفق بلا حساب .. وتخلق البخيل الذى يجوع حتى الموت ..

ولذة الطعام تخلق المتخم .. وتخلق الممعود . ولذة الجنس تخلق الراهب .. وتخلق الداعر . وأصبح الضوء الشديد يخلق فى الرائى رغبتين فى وقت واحد .. ان يفتح عينيه ويحملق وان يغطى عينيه ويهرب الى الظل .

***

ان الانتحار ظاهرة غريبة ..

انها ظاهرة غريبة حينما تصدر عن مجتمع عصرى .. متمدن ..

انهم يقولون ان الانتحار زهد فى الحياة .. ورفض للملذات .. ولكنه فى الحقيقة حب للحياة .. وتهافت على الملذات .. حب مريض يائس وتهافت أنانى ..

ان المنتحر يحب حياته لدرجة لايحتمل معها فقدان أى شيء .. السعادات الصغيرة تبرق تحت عينه الشرهة .. والآلام الصغيرة تعضه فى قلبه . والحرمان يتمثل له فى شكل كابوس رهيب أبشع من الموت ..

انه كالعاشق الذى يهرب من عشيقته من فرط هيامه بها .. لانه يخشى الفراق ..

ان قلبه يتفطر حبا .. ولكن ساقيه ترتجفان من الذعر والهلع .. فلا يجد وسيلة للتعبير عن حبه الا الجرى ..

وهو أنانى يطالب الدنيا بأكثر مما تستطيع ولايحاول ان يدفع الثمن ..

اذا نفخ على الجليد فلم يتحول الى قمح .. لطم خديه .. وشق ثوبه .. وبكى واشتكى لأنه مظلوم .. منحوس الطالع ..

واذا غابت الشمس قبل ان يتدفأ بها لعن الشمس .. لأنها تتآمر على حرمانه ..

أنه يمثل ارادة مريضة اختل فيها التوازن فهى بدل أن تتكيف مع الظروف .. تحاول أن تكيف الظروف حسب هواها .. تحاول أن تفعل هذا فى تعسف وعجلة وأنانية .. لاتعرف معنى للصبر ولا للجهد ..

وحينما تصطدم هذه الارادة بالمستحيل لا ترتد الى العقل ولكنها تتمرد .. وتتهم الوجود كله بالظلم .. وتلقى عليه عبء الفشل وتصمم على محوه ..

ويبلغ جنون المنتحر ذروته فى لحظة الانتحار .. فيبدأ فعلا فى محو الوجود .. بمحو نفسه .. وتكون النهاية أن يؤكد ذاته باحداث العكس .. باعدام ذاته ..

***

ويظل السؤال الثانى بلا جواب ..

لماذا يكون الانتحار سمة المجتمعات العصرية .. ولماذا يتكاثر عدد الذين يشربون الفنيك كلما ارتفعت العمارات عدة ادوارا فى السماء ويتكاثر المجانين كلما زحفت المدنية على الغابة والحقل .

السبب على ما اعتقد ليس هو المدنية .. ولكنه التقدم المريض الذى يشمل المجتمعات من الناحية الشكلية فقط .. بينما تظل متأخرة .. من حيث قدرة افرادها على التنفس والنمو ...

ان التقدم الحقيقى هو الذى يصنع قوة فى الخارج بقدر مايصنع قوة فى الداخل ..

التقدم هو الذى يصنع من الصلب بقدر مايصنع من الحريات ..

والمجتمع كالجسم البشرى كلما زاد حجمه واتسع نشاطه كلما احتاج الى مساحة كبيرة من الرئتين يتنفس بها .

اذا عرفت هذا فلن تقتل نفسك .. وانما سوف تعمل انت وغيرك من أجل صناعة مجتمع متوازن شريف تعيش فيه حرا .. وتستعمل الفنيك فى قتل البعوض .. وتصعد على سطح المجمع لتتفرج على منظر القاهرة ، وتستمتع بحياتك تماما كما كان يفعل جدك العاقل القرد .

● ليس هناك ماهو أثمن من البشر ومن عقولهم.. انهم أثمن من البترول والحديد وأثمن من الأرض والقمح..انهم يصنعون البترول والحديد .. والبترول والحديد لا يستطيع أن يصنعهم .. ●

روشتة لعلاج الحروب

كان جدنا البدائى ساكن الغا ب.. يحارب كل يوم ..

كان يحارب الثعبان والذئب والأسد ويصارع الرياح والسيول والصواعق والزلازل ..

لم يكن يعرف طعم الهدنة ابدا ..

وكان كل سلاحه هو دماغه .. عقله

ومن هذا العقل أخرج الأسلحة التى قتل بها الذئب واذل الأسد وأسر الثعبان .. وفى أقل من ألف عام كان يضع أعداءه الأوائل فى أقفاص بحدائق الحيوان ويتفرج عليها وهو يقزقز اللب

لقد انتصر ..

ولكن الحرب لم تنته .. فما لبث هو نفسه أن تحول الى وحش وبدأ يحارب نفسه .. وتحولت الحرب بين الانسان والحيوان الى حرب بين الانسان والانسان ..

وبدأ العقل يبتكر أدوات انتحار واسعة النطاق تحصد اعمار الألوف فى لحظات ..

وتحول العقل الى ثقب تتساقط منه الطاقة البشرية وتضيع فى صراع لايجدى ..

وأصبحت الوحوش فى اقفاصها هى التى تتفرج علينا بدورها وتقزقز اللب

لقد انتصرت .. وان ظلت سجينة .

* * *

ان الحرب تدور من أجل الأرض والقمح والبترول والحديد .. من أجل غنى يريد أن يضاعف ثروته ، وقوى يريد أن يضاعف من قوته .. وتاجر يريد أن يروج تجارته ..

ولكن الأرض واسعة .. يمكن ان تسعنا جميعا..ولوكف العقل لحظة واحدة عن التفرغ للحرب .. وتفرغ للسلام .. وعكف على كنوز الطاقة التى تكمن فى الطبيعة لاستطاع أن يوفر قصرا لكل فلاح ..

ان قوى الذرة تستطيع ان تحول الصحارى الى حقول ..والحقول الى مصانع .. والمصانع الى أدوات جميلة فى خدمة الانسان ..

لقد استطاع العلم ان يسقط مطرا صناعيا .. واستطاع أن يحول المستنقعات الى مزراع مائية معلقة تنتج ستة امثال المحصول المعتاد من الأرض الخصبة ..

واستطاع أن يحول ضوء الشمس الى تيار كهربائى يدير به المحركات ..

واستطاع ان يخترع زجاجا لايتحطم وثلجا لا يذوب ومطاطا لاينصهر .. وخشبا لايلين . وورقا صلبا كالطوب لبناء البيوت ..

واستخرج داود وبسون لحما نباتيا من بذور القطـــن ، وأمكن أخيرا أن يستخرج العلم النيلون من الفحم ·· والصوف الصناعى من اللبن ··

وأمكن فى روسيا صناعة فصائل جديدة من القطن ·· وفصائل جديدة من الأبقار والاغنام ·· وأنواع من المحاصيل والفـــواكه البقول بالتلقيح والتهجين ·· والتأثير على الاجنة بالاشعة ··

وأمكن للعلم أن يطيل أعمار الورود والأزهار وأن يصنع أصابع صناعية وكلية صناعية ، ويمنح البصر للعميان باستعمال شرائح من عيون ميتة ··

واستطاع أن يهزم الحر والبرد ·· بتكييف الهواء ··

واستطاع أن يستخرج البنسلين من العفن والتراميســـين من الطين ··

أن العلم قوة رهيبة ·· تستطيع أن

تغير وجه الارض ·· ولكنها قوة مضاعه ·· قوة يستخدمها تجار الحروب لاغراضهم ··

انهم لاينفقون مليما على هيئة علمية الاا ذا كانت تبحث فى وسيلة جديدة للتدمير ·· والقنبلة الاقوى هى التى يفوز مخترعها بنيشان ·· وعلى أمثال باستير وكوخ ان يكافحوا ويجـــوعوا اذا أرادوا أن يفكروا أو يخترعوا للسلام ··

ان العلم ليس حرا ·· ورجل العلم ليس حرا ·· لانه فى مجتمع استعمارى غير حر تتصارع طبقاته فى سبيل السيادة والكســـب والثروة ··

وضرب بورسعيد مثل دقيق لهذا الصرآع البشع على مســـتوى

عالمى .. فوراء انجلتراوفرنسا واسرائيلهيئة من المنتفعين بالبترول وبالقنال ، وبالشعوب .. ووراءهم عشرات من الاحتكاريين العالميين يؤثرون على الصحف والاذاعة والسينما والبرلمان ويشترون كل شيء حتى أصوات الناخبين ، حتى العلم من أذهان العلماء الشرفاء ..

وفى النهاية يتحول كل شيء الى دبابة ومدفع وقنبلة .. وقتل وسفك دم ..

ويضيع الخير الحقيقى لان القنابل تمزق البشر وتمزق عقولهم .. وليس أثمن من البشر ومن عقولهم ..

أنهم أثمن من الحديد والبترول .. وأثمن من الارض والقمح .

انهم يصنعون الحديد والبترول .. والقمح . والقمح لايستطيع أن يصنعهم والعقل وحده هو الذى يستطيع ان يحول الارض الى جنه ولكنه مستعبد وعليه ان يتحرر أولا ..

وكيف يتحرر العقل ..

ليس هناك الا طريق وحد.. هو أن يتحرر من النظام الصراعى الذى يعيش فيه ويحتم عليه الحرب ..

عليه ان يقضى على الاستعمار أولا ثم يفرغ لتنظيم اقتصادى جديد يسلم فيه مفتاح المصنع ومفتاح الدكان للدولة ويقضى على الحرب الصامتة بين صاحب المصنع والعامل .. ويحول المجتمع الى أسرة .. والحكومة الى أب .. والعالم الى دول متآخية متعاونة .. ويحرر المخترع من بيع ذهنه كالسلعة ..

وبهذا يصبح سوق الشرف هو العمل والانتاج .. لا الكسب والاستغلال .. ويتحول الانسان مرة أخرى الى جده البدائى المسالم الذى كان يحارب الطبيعة القاسية ..

يعود الانسان محاربا مرة أخرى للزلازل والبراكين.. والصواعق والامراض .. ويكف عن محاربة نفسه .

الله

بحث فى معنى الـروح وأصـل العبادات

● ان حقيقة الحياة غير معروفة .. انها حركة دبت في المادة ... حركة واعية هادفة حرة . . ولعلها مادة . . ولعلها اى شيء .. ولكنها ليست الجثة على اى حال ●

الشيء

منذ عشر سنوات كنا نقف فى مشرحة كلية الطب .. كل خمسة أمام جثة ..

وكنا نظن حينئذ أن حقيقة الانسان ليست لغزا .. وان فى امكان المشرط أن يكشف عنها بضربة واحدة .. وان الجسم ماهو الا حقيبة اذا فتحتها عرفت كل شيء ..

ولكن سنتين طويلتين مرتا .. وأنا ابحث وأنقب خلف اللحم والعظم .. وفى الاحشاء والامعاء والشرايين والغضاريف عن هذه الحقيقة دون جدوى .

فتحت القلب .. وفتحت الرئتين .. وتتبعت الأعصاب حتى نهاياتها .. وصعدت من الحبل الشوكى الى المخ .. وقطعت المخ نصفين .. ثم قطعت كل نصف الى نصفين .. وانتهيت .. الى كتلة رخوة هلامية بيضاء .. قال عنها الأستاذ .. أنها سر الانسان ..

أحقا !! ..

أهنا يسكن الألم .. وترقد اللذة .. وتنام الارادة .. فى هذه الكتلة المائعة الطرية .

.. رفعت رأسى فى قلق وتشكك ..

لقد فتحت الحقيبة فوجدت داخلها حقيبه .. وما زلت بعد سنتين من التعب والكد حيث كنت امام مجهول .

ان القناع الذى يغلف الانسان ليس ثيابه وحدها .. فجلده ثوب آخر .. ولحمه وشحمه وعظمه كلها ثياب .. أما هو نفسه فبعيد .. فبعيد .. تحت هذه الاقمشة السميكة من اللحم والدم ..

وقرأت ثلاثة آلاف صفحة .. فى كتب التشريح .. وكانت الخلاصة فى النهاية .. أن الانسان مجموعة من الاحشاء فى قرطاس من الجلد ..

كلام غير صحيح .. مع احترامى لجهود السير كننجهام وجراى وجاميسون وبقية عمالقة الطب الذين تخصصوا فى وصف الانسان .

انهم لم يصفوا الانسان على الاطلاق .. وانما وصفوا ثيابه ..

انهم فى نظرى ترزية من نوع عصرى .. ابدعوا فى وصف موديلات المصارين والامعاء ..

ان القلوب المحفوظة فى برطمانات متحف كلية الطب .. هى فتارين لتفصيلات مختلفة من القلب .. القلب الديكولتيه .. والقلب الجابونيز

أما قلب الانسان الحقيقى .. عواطفه ودمه الساخن النابض بالرغبة .. فلا يوجد الا فى داخلنا نحن الأحياء ..

ان حقيقة الحياة غير معروفة ..

انها حركة دبت فى المادة .. حركة واعية هادفة حرة .. ولعلها مادة .. ولعلها أى شىء .. ولكنها ليست الجثة على أى حال .

ان أجهزة الجسد حينما تعمل تشبه الأراجوز .. فتبدوا للناظر من بعيد كأعضاء حية .. تتكلم باختيارها وحريتها ، وهى فى الحقيقة

قطع خشبية ميتة تحركها خيوط خفية من وراء خباء .

فى داخلنا أراجوز . .

فى داخلنا زامر ينفخ فى بوق اجسادنا .. ويلهو بخيوط اطرافنا فتتحرك .. وتمشى .. وتتكلم ..

وكذلك الكون كله .. الحيوان والنبات والجماد .. مجموعة أبواق متعددة .. فى داخلها .. فى قلبها زامر .. ينفخ على الدوام .

والبراهمة الهنود لا يعتقدون ان لكل مخلوق روح تخصه .. لا يعتقدون ان لكل حمار روح ، ولكل كلب روح .. ولكل نحلة روح.. وانما يعتقدون بوجود زامر واحد ينفخ فى أبواق الكون .. وروح واحدة تسكنه .. ومعنى واحد تحققه المخلوقات .. كمـــا تحقق الكلمات المتعددة .. الفكرة الواحدة البسيطة .. وكما يحقق الرسام والموسيقار والنحات والأديب والشاعر والمغنى .. المعنى الواحد فى سيل من المخلوقات الفنية ..

وفى سفر اليوبانيشاد .. صلاة هندية قديمة .. تشرح هـــذا المعنى فى ابيات رقيقة من الشعر ..

ان الاله براهما .. الذى يسكن قلب العالم .. يتحدث فى همس قائلا :

اذا ظن القاتل انه قاتل ..

والمقتول أنه قتيل ..

فليسا يدريان ماخفى من أساليبى

حيث أكون الصدر لمن يموت ..

والسلاح لمن يقتل ..

والجناح لمن يطير ..

وحيث أكون لمن يشك فى وجودى .

كل شىء .. حتى الشك نفسه ..

وحيث أكون أنا الواحد ..

وأنا الأشياء ..

أنه اله يشبه النور الأبيض .. واحد .. وبسيط .. ولكنه يحتوى فى داخله على الوان الطيف السبعة ..

انه الجنين الذى يحتوى على بذور الصفات كلها ..

لقد ربط الهنود جثث مشرحة القصرالعينى .. بجثث الكلاب بجثث سمك البحر .. بجثث النمل .. ثم مزجوا الكل بتراب الجبل .. وبكل العناصر .

وسلكوا الجميع فى خيط واحد .. سموه براهما .. أو روح الكل ..

وما على براهما الا ان ينفخ فى البوق .. ويحرك الخيوط التى تلتقى فى يديه فتتحرك الاراجوزات جميعا على المسرح

وليس لبراهما عرش .. وليس له ميزان .. وهو لايحاسب ولا يعاقب .. وهو ليس بشخص على الاطلاق .. وانما هو حقيقة حقيقة الوجود فحسب ..

***

كانت هذه الفلسفة البرهمية فى ذهنى وأنا اقرأ تاريخ الفلسفة من سقراط الى ماركس ..

وقد وجدت ان براهما الهندى لم يمت بموت الفلسفة الهندية .. وانما ظل كالمسيح يموت ويبعث .. لايتغير فيه آلا الاسم ...



فى فلسفة شوبنهور كان اسمه الارادة وفى فلسفة نيتشه كان اسمه المطلق وفى فلسفة ماركس كان اسمه ·· المادة وفى فلسفة برجسون ·· كان اسمه ·· الطاقة الحية ··

وفى الأديان السماوية كان اسمه الله وكثرت أمامى الاسماء ·· وكثرت الأصابع التى تشير ·· واتفقت كلها رغم اختلاف الوانها·· على ان هناك شيئا ·· داخل الخباء ·· يحرك خيوط الاراجوز ··· وينفخ فى بوقه · · والأسماء لاتهم ·· وانما الذى يهم ·· هو الشيء نفسه ... محل التسمية ·

لقد كان بوذا عملاقا ·· حينما قال ان الاديان كالانهار ، كلها تصب فى البحر ·· وحينما قال لمواطنيه :

« انى أقدم لكم ·· لاهوتا بغير اله ·· وعلم نفس بغير نفس ·· ودنيا بلا آخرة ·· وان الهى · ليس شخصا ·· وليس ملكا ·· وليس خالقا للاشياء ·· وانما هو الأشياء ذاتها ·· »

وحينما قال مجيبا على الفقير الذى سأله ·· ماهى الروح ··

ــ هذه غاية التأمل النظرى ياولدى ·· هذه صحراء ·· وانا لست بهلوانا ··

لقد اكتفى بان اشار بأصبعه · الى قلب الدنيا ·· وقال ··· الشيء ·· ثم مات وترك الناس يبحثون عن ذلك الشيء ·· ويصنعون القنابل الذرية ·· ويتبادلون التهديدات ·· ويقصفون المدافع ·· لأنهم يختلفون على معناه ·

★★★

ان الله عند جدى يتمثل فى شخص طيب رحيم غفور تواب ·· يداوى الروماتزم ·· ويقوى المفاصل ··

وهو عند أمى مأذون يجمع رؤوس بناتها على رؤوس عرسان أغنياء فى الحلال وهو عند الأطفال يشبه عروسة المولد وهو عند اينشتين ·· معادلة رياضة ·· وقانون تخضع له الأشياء بالضرورة ··

وهو عند عاشق مثلى .. حب !!

وهو عنـد مشايخ الصوفيـة .. وزير أوقاف يوزع الـكساوى والاعانات ، والمعاشات ..

وهو عند الملحد موضوع دراسة .. وعند المؤمن موضوع عبادة .. وهو دائما شيء حتى عند الذى ينكره ..

ان معظم التعصب بين الأديان وبين الفلسفات يعود فى النهـاية الى خلافات اسميه ..

ان الوجود الذى نعيش فيه ليس وجودا مفككا ولكنه وجـــود منسق منظم تربطه القوانين .. والاختلافات الظاهرية فى الأشياء خلفها وحدة حقيقية .

وفلسفة براهما الهندية ليست كلها خرافة ..

هناك وحده فى الوجود .

خلف النبات والحيوان والانسان . خلية واحدة بسيطة تلتقى فيها حقيقة الثلاثة ..

ومن خلال هذه الوحدة الحية يبدو الطريق الوحيد الذى يمكن ان يؤدى الى معنى ذلك الشيء .. الساكن فى قلب الحياة .. والذى يبعث فيها النبض .

ذلك الشيء الذى يبدو كأنه الغاية .. وكأنه السبب .. وكأنه الحقيقة .. فى نفس الوقت ..

● يقول داروين : ان الحياة صراع ·· وان البقاء للأصلح ·· وليس البقاء لمن يسبح بحمد يهوذا ··· ●

الله

هل رايت الخوف والذهول فى عين الكلب وهو يتأمل ورقة طائرة فى الهواء ·· انه لا يرى الهواء ·· وأراهن أنه ينظر الى الورقة كما ينظر الى مخلوق حى ·· ويظن أن بها روحا تحركها ·· انه كلب متدين ··

وفى الماضى كان الانسان أحمق مثل هذا الكلب ·· كان يتلفت حوله فى ذعر ودهشة ·· ويتخيل الارواح تسكن كل شىء ·· تسكن الصخر ·· والبحر ·· والحقل ·· والجبل ·· وكان يعبد أعضاء التناسل لأنه كان يرى فيها قدرة على بعث الأرواح فى أولاده ··

وفى مدينة هيرابوليس القديمة ·· كانت تقوم مسلات هائلة فى شكل أعضاء التناسل أمام معابد أفروديت ··

وفى كثير من نواحى آسيا الصغرى كان واجبا دينيا محترما على كل سيدة أن تقف بأبواب المعبد وتهب نفسها لكل غريب يطلبها ·· ثم تضع على مذبح الرب ما كسبته من بغائها المقدس ·

وكانت أول صورة من صور الأديان ·· هى السحر ··

كان الكاهن يتوسل بالسحر الى السماء حتى تمطر ·· والى الأرض حتى تجود بالقمح ·· والى الريح حتى تهب ·· فاذا فشل فى توسلاته ·· ضرب تمثال الهه بالسوط ثم ألقى به فى البحر !

ثم بدأ يعتقد أن الأرواح الطيبة تختار حيوانات لتحل فيها ·· ومن هنا نشأت عبادة الثور المقدس والبقرة وعجل أبيس ·· ثم تقدم الدين خطوة أخرى الى الأمام ·· فاتجه الى عبادة الأسلاف ، واتخذت الآلهة أشكال البشر ··

كانت آلهة الأحباش سمر الوجوه مفرطحة الأنوف ·· وآلهة تراقيا ذات شعر ذهبى وعيون زرقاء ··

وكانت الآلهة هى أرواح الموتى ·· فاذا أراد الملك أن يبلغ تحية أو رسالة الى جده الميت ·· دعا اليه عبدا ·· ثم أبلغه الرسالة شفويا ·· وقطع رأسه · فاذا أراد أن يضيف سطرا الى رسالته ·· ذبح عبدا آخر وشفعه بالأول كملحق · وهكذا كانت الصلوات الأولى ·· مرهقة ·· باهظة ·· دموية ··

ولكن الدين القديم على ما فيه من وحشية وهمجية ·· أضاف الى الحضارة تراثا رائعا من الفن والفكر ·· أضاف الشعر والموسيقى والنحت ·· وتطور الشعر على يد الأدباء الكبار الى ملاحم ومسرحيات ، وفن رفيع ··

وما لبث أن انقلب الفن على الدين وبدأ يناقشه ·· وظهر فلاسفة كسقراط وأفلاطون وأرسطو كانت لهم الجرأة على انكار الآلهة ·· والتحم الدين مع العقل فى معركة قصيرة انتهت بهزيمته وبانهيار معبد الأولمب عند أقدام المنطق ، وطوت الأديان صفحتها الأولى ··

***

ولكن التاريخ كان يحتضن تحت جناحه فرخا صغيرا لديانة جديدة ··

كان الاسكندر المقـدونى ·· يسحق الشرق بقـدميه ·· ويطوح بملوكه ··ويحرق مدنه ·· ويحوله الى ميدان يعج بالأسرى والعبيد ·· وظهرت ديانة تكفر بالدنيا وتبشر بالآخرة ·· وتقول ان هناك جنة بعد الموت ·· وانها للتعساء والعبيد وحدهم ··

وعاد الاسكندر الى بلاده يحمل تراب هذه الديانة على ملابسه ··

وظهرت اليهودية لتقدم للعالم فلسفة جديدة والها واحدا وعدالة اجتماعية ·

واليهودية كسائر الأديان الشرقية تقوم على فكرة الخطيئة ، وأن آدم أطاع الشيطان وعصا ربه ، وأكل من الشجرة المحرمة ·· فحكم عليه بالذل ·· وطرد من الجنة ليـكفر عن ذنوبه بحياة تعسة عـلى الأرض هو وذريته الى يوم القيامة ·· وبعد القيـامة تفتح الآخـرة أبوابهـا ليعيش فيهـا البشر خالدين ·· منعمين ·· أو معذبين ·· حسب أعمالهم ·· وفكرة الخطيئة قديمة ·· وهى موجودة بنصها فى الديانات الهنـدية حيث تحكى كتب الفيدا أن الاله شـيفا اله الشر أنزل شجرة تين من السماء وطلب من المرأة أن تغوى بهـا الرجـل لتكسب الخلود ·· فخضعت للاغراء ، وأكل الرجـل الشـجرة ·· وحكم عليه بالبؤس والشـــقاء مدى الحيـاة ·· وهـذا التشـابه بين الديانة والخرافة يتكرر فى أكثر من مكان ··

واليهودية هى أول ديانة دعت الى التوحيد ·· ويرجع هذا الى نمو الحياة الاقتصادية وارتباط البلاد بالتجارة وتحالف القبائل واندماج الآلهة المتعددة فى اله واحد ، وفى ذلك يقول أشعيا :

« هو ذا الرب من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر ، وكال بالكيل تبر الارض ، ووزن الجبال بالميزان » ·

وفى آيات أخرى تدعو الى تحقيق العدالة ، وتضع القواعد الاولى للوصايا العشر ·· أسمع يهوذا يقول :

« من أجل أنكم تدوسون المسكين .. وتأخذون منه هدية قمح بنيتم بيوتا من حجارة لا تسكنوها ،وغرستم كروما شهية لا تشربوا خمرها ..

« حين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ..

« أيديكم ملآنة دما ..

« كفوا عن فعل الشر .. تعلموا فعل الخير .. اطلبوا الحق .. انصفوا المظلوم .. اقضوا لليتيم .. حاموا عن الارملة »

* * *

وأعقب اليهودية .. ديانة المسيح .

وقد ظهرت المسيحية من تفاعل تيارين كبيرين .. الاول هو امتزاج أفكار الاغريق بالفلسفة الهندية والديانة اليهودية .. والثاني هو الاستغلال الصناعي والتجاري في بيت المقدس والاسكندرية وانطاكية وأثينا وروما ، وظهور طبقة عاملة لا حيلة لها ولا أمل .

ومن هذه المحنة ظهرت أمثال هذه الآيات :

لا تفكر في عيشتك .. ماذا تأكل .. أو ماذا تشرب ..

أهون على الجمل أن يدخل ثقب ابرة من أن يدخل الغني جنة الله ..

اذا صفعك أحد على خدك الايمن أعطه خدك الأيسر ..

وهي آيات تبارك الذل والخضوع والفقر .. وتلعن الغنى والقوة .. وتتخذ مكانها في صف العبيد المهزومين .

وجاءت المسيحية بفلسفة جديدة هي فلسفة الإله المتجسد .. والمسيح ابن الرب الذي يولد من عذراء دون أن يقربها رجل ..

وهذه القصة لها نظائر تشبهها في الديانات القديمة .. في الهند

قصة الاله كرشنا •• وفى مصر قصة الاله حورس •• وفى المكسيك قصة كتسا لكوتل •• وفى الاغريق قصة بروميثيوس •

وفى الصين كانوا يحتفظون بســـجل يكتب فيه جميع الآلهة المتجسدة ، ويحفظ فى ادارة الاقاليم فى بكين •• وبلغ عدد الآلهة الذين منحوا حق الحياة على الارض مائة وستين الها ••

وهكذا تتشابه الاديان وترتبط بعضــها بالآخــر •• حتى فى أعيادها •• فعيد الفصح هو عيد عشتار عند البابليين ، وعيد الميلاد عند المســيحيين هو عيد فرعونى خاص بمولد الشمس وتحــركها شمالا عند الإنقلاب الشتوى ، والتعميد عند المسيحية هو التكريس القديم فى الأديان البدائية حينما كان الصبى يغمس غمسا تاما فى الماء تكريسا لحياة الشباب •

* * *

وقد تطورت المسيحية بدورها •• وقامت على أساسها كنيســـة قوية •• تمول من أسفل ــ كما يقول فولتير ــ وتحكم من أعلى ••

وهذه الكنيسة هى التى بلغت يوما ما من القوة بحيث كانت تملك معظم أراضى أوربا •• وهى نفســها التى وقفت فى طريق المعــرفة والعلم •• فنفت العــالم الفلــكى كوبرينيك •• وعــذبت جاليليو ، وحرقت برونو حيا مشدودا الى سارية فى الميدان العام ••

ولكن سرعان ما تحللت ودب فيهــا الفساد ، وبلغ من انقســام البروتستانتية ان بلغ عدد مذاهبها أكثر من ثمانية عشر مذهبا •• تحارب بعضها البعض •• أمثال •• التنصيريين ، والاتحــاديين ، والانجليين ، والمنهجيين ، والمشــيخيين ، والبدائيين ، والمجمعيين ، والمقدسين ، واللوتريين ، واخــوان بليموث ، واخــوان النهر •• وغيرهم ••

وفى الاحصائيات الإخيرة .. تتكلم الأرقام بأفصح مما يتكلم التاريخ .. فبين سكان باريس الذين يبلغون أكثر من اثنين مليون كاثوليكى .. مائة ألف فقط يؤدون صلاة الفصح .. وبين ٤٣ مليون كاثوليكى فى فرنسا لا يتقدم للاعتراف الا ٢ مليون فقط ..

وفى استفتاء قامت به جريدة ديلى نيوز فى لندن اتضح أن ١٢ ٪ من القراء ملحدون وأن ١٥ ٪ ينكرون ألوهية المسيح وأن ٦٠ ٪ ينكرون الصحة التاريخية لسفر التكوين .. ومن بين عشرة آلاف قارىء لم يؤكد صحة الأسفار الخمسة الا ٨٨ فقط !..

ان الاديان تمر بمرحلة انهيار تشبه المرحلة التى مرت بها ديانة الإغريق ، وهناك صفحة ثانية فى طريقها لأن تطوى .. والسبب هو نفس السبب فى الحالين .. هو العلم وتطور الوعى وظهور المعارف الجديدة . وهناك اسمان كبيران حملا لواء هذا التطور .. هما كوبرنيك .. وداروين ..

ان الأرض التى كانت فى التوراه مركز الكون تدور حولها الشمس .. والنجوم ويرعاها الرب بعينه التى لا تنام .. وآدم الذى كان أبو البشر قد تغير كلاهما فى يد كوبرنيك وداروين .

أثبت الاول أن الارض ذرة تراب بين ملايين الاراضى .. مبعثرة فى الكون .. وانها تدور كالخادم فى فلك الشمس .. وليست مركزا للكون على الاطلاق ..

وأثبت الثانى ان الانسان حلقة فى سلسلة مخلوقات يتطور الواحد منها الى الآخر . من الاميبا الى الذبابة الى الكلب الى الحمار الى القرد الانسان الى شكسبير .. حيث تتشابه الصفات التشريحية فى الجميع ..

وأثبت بالطريقة نفسها أن الحياة صراع .. وان البقاء للأصلح



وليس البقاء لمن يدخل الكنيسة ·· وان السماء قد تركت الأرض بمن فيها ينطح كل منهم صاحبه بقرنيه ··

وزاد فى تحلل الانسان من المقدسات القديمة ظهور الآله ·· والقوة الهائلة التى وجدها الانسان فى يديه وساقيه وعقله ··

فبدلا من الكاهن الذى كان يدخل الغابة ليمجد جمال الله ويصلى، أصبح الرجل العصرى يدخل الغابة ليقطع الاشجار ويصنع ورق الصحف ·· وينشىء مدينة ·· ويمد خطا حديديا ، ويضع فى المياه كبريتات النحاس ليقتل القواقع ·· ويضع فى الارض نترات الصودا ليخصب الزرع ·· ويستخرج القوى الكهربائية من مساقط الماء ·· وينقب عن الحديد والفحم والجاز والذهب فى باطن الارض ··

وطالب الكيمياء أصبح يلهو بالعالم الذى ينحل ويتركب تحت بصره كل يوم دون أن يذكر اسم الله ··

وطالب الفلسفة فتح عينيه على قصة الاديان لاول مرة وقد وضعت أمامه فى حلقات متتابعة امتزجت فيها الخرافة بالحقيقة ··

والمدارس التى كانت تنفق عليها الكنيسة لتعلم اللاهوت والشعر ·· تحولت الى معاهد للجبر والرياضيات تنفق عليها منحة روكفلر ··

والقوانين التى كانت تصدر عن البابا أصبحت تصدر عن أعضاء الشيوخ والنواب ومجالس العمد ··

ان كل ما تبقى من الاديان هى الايام المقدسة التى تحولت الان الى اجازات وأيام راحة ··

ان سقراط الذى حطم ديانة الاغريق لم يعدم له أخوة فى عالمنا الحديث ·· والأمل الوحيد الباقى للدين هو أن يقيم معبده فى عالم الحقيقة الذى أنشأه كوبرنيك وداروين وفولتير وسبنسر ، وكانت

وشــو ٠٠ ويحترم الصدق العلمى البســيط ٠٠ ولا يحتمى بعــالم اللا معقول ٠٠ فالرب الذى لا يحترم عقلا صــنعه بيديه ٠٠ يعطينا العذر فى ألا نعبده ٠٠

* * *

ان الله فكرة ٠٠ انه فكرة فى تطور مستمر كما تدل على ذلك قصة الاديان ٠

الله فى العقل الحديث ٠٠ معناه الطاقة الخام التى فى داخلنا ٠٠

الله هو الحركة التى كشفها العــلم فى الذرة وفى البروتوبلازم ، وفى الافلاك ٠٠ هو الحيوية الخالقة فى كل شىء ٠٠ أو بعبارة القديس توماس ، الفعل الخالص الذى ظل يتحول فى الميــكروب حتى أصبح انسانا ٠٠ ومازال يتحول ٠٠ وسيظل يتحول الى مالا نهاية ٠

والعلم بهذا المعنى الجديد عبادة ٠٠ والفن عبــادة ٠٠ والفلســفة عبادة ٠٠ لانها ادراك لهذا الاله بوســائل مختلفة ٠٠ واحساس به من زوايا مختلفة ٠٠

والمعبد بهذا المعنى الجديد برلمان حر ومدرســة عصرية تضم كل الآراء وتحترم كل الآراء ٠٠ وينضــوى اليها جميع المختلفين تحت قانون واحد ٠٠ هو حب الحقيقة ٠٠

وشريعة هذا الدين بسيطة جميلة ، انها الولاء للحياة ٠٠

هل هناك مسلم أو مسيحى أو يهودى يخالفنى فى هذه الحقائق الاولية ٠٠ لا أظن ٠٠


اكثر ما يسترعى إنتباهك فى الليل أضواء النيون
واكثر ما يلفت نظرك فيها لافتات نيون
شركة الإعلانات المصرية
أقدم مؤسسة للنيون
فى الشرق الأوسط
كل
ما تراه فى مختلف بلاد الشرق الأوسط من الإعلانات
المضاءة الجذابة وأشغال الزخرفة الجميلة بالنيون من تصميمنا
اللافتات التى تعتز بها ..
واجهة كوكاكولا فى ميدان المحطة
لافتة بيبسى كولا فى المنيل
واجهة كوكاكولا فى ميدان العتبة
لافتة هوليود فى الجيزة
ساعة رولكس المضيئة فى ميدان التحرير
لافتة نصلا فى ميدان التحرير
لوحة صورة النظارة فى ميدان المحطة
لافتة اوليفتى وشارلوا.
زخارف
لافتات
واجهات مضاءة
لافتات متحركة
ساعات مضيئة
شركة الاعلانات المصرية
٢٤ شارع جلال - القاهرة . ت ٧٦٧٠٠
١ شارع رولو - الاسكندرية . ت ٢٣٦٦؟

● ان العقل البشرى يعذبه الخوف .. انه لا يستطيع ان يتصور العدم .. ولا يملك نفسه من الفزع كلما فكر فى الموت .. فى هذه الهوة من التلاشى وهـــو لا يطمئن حتى يغطى هذه الهوة باوراق الشجر .. ويمـــلاها بالتصـــورات الجميلة .. وبالحور العـــين .. ●

لغز ما بعد الموت

كل شىء حولنا يتغير ..
كل شىء يفنى ..
الشمس تأفل .. والورد يذبل .. والشباب يموت ..
والصخور تتآكل .. والدول تدول ..

كل شىء .. حتى ماهو ثابت .. كالجمال والحق والخير .. وسائر المثاليات .. تتغير هى الأخرى .. وتتبدل فى معانيها مع تبـدل المجتمعات والأزمان .. وتتبدل معها القوانين والشرائع والنظم ..

كل شىء فى حركة دائمة .. لاشىء يبقى على الأرض الا عـدم البقاء ..

من أين جاءت اذن فكرة الخلود .. من أين جاءت للانسان فكرة أن له روحا تهزم .. الفناء .. وتهزم التغير .. روحا تخرج من جسده مع الموت وتذهب الى عالم آخر لا موت فيه ..

ليس صحيحا أن مصدر هذه الفكرة هى الاديان الســـماوية .. الثلاثة .. فالفكرة قديمة .. قبل اليهودية بآلاف السنين ..

الفكرة صعدت من الأرض ، ولم تنزل من السماء .. صعدت من احتياجات الانسان .. ورغباته وضرورياته ..

كان الهمجى يحلم وهو نائم •• أنه عبر البحر وذهب يصطاد ويصرع الوحش ويتسلق الشجر ويتعرض للأهوال •• وهو مازال فى مكانه راقدا لم يتحرك •• وكان من الطبيعى أن يعتقد بعقله البدائى أنه لابد يتألف من شيئين •• جسم صلب وروح طائرة •• تسبح عند النوم فى عوالم أخرى ••

وبدأ يفسر الموت بأنه خروج الروح لفترة مؤقتة •• والموت بأنه خروج للروح الى الأبد ••

وفى قبائل « السيليبيز » كانوا يعلقون سنارة فى أنف المريض ليصطاد بها روحه اذا حاولت الخروج •• وكان العطس أشد مايخشونه •• فقد تندفع الروح خارجة من أنف المريض ولا تعود •• ولعل هذا هو السبب فى أننا الآن نبادر الى الذى يعطس فنقول له : أستغفر الله •• ويرحمك الله •• لعل هذه بقية من الخوف القديم تسربت الينا فى شكل مهذب ••

واعتقد الهنود أن الروح تتناسخ •• وأنها تهجر انسانا لتحل فى كلب ثم فى دودة ثم فى قديس ثم فى شجرة •• وتظل تزاول نوعا من الخلود الأرضى بهذه الطريقة ••

وقد انتشرت فكرة التناسخ غربا حتى بلغت ايطاليا •• حيث نجد فيتاغورس يقول : « لا تضرب هذا الكلب لأنى تعرفت فيه على صوت صديقى الذى توفى » ••

وفى ألمانيا امتزج التناسخ بفلسفة نيتشه ، فنادى فى كتبه بمبدأ العودة الأبدية •• وارتداد الوجود فى دوائر متشابهة ••

لم تكن فكرة الروح اذن من ابتكار الأديان السماوية •• وانما هى فكرة قديمة نشأت مع نشأة الانسان •• ثم تغذت على عوامل كثيرة مدت فى جذورها ومنحتها القوة والبقاء •• حتى وصلت الى حالتها الراهنة التى تشبه اليقين ••

وأول هذه العوامل .. الأمل ..

ان الحياة قصيرة وفرصها محدودة وامكانياتها قليلة .. ورغبة الانسان فى نفس الوقت لا حد لها .. فكان من الطبيعى أن يفكر الانسان فى وصلة ثانية لحياته الدنيا .. ويتخيل حلقة أخرى ممتدة عبر عالم آخر .. لا نهاية لخيراته ..

والعقل البشرى يعذبه الخوف .. كما يعذبه الأمل ..

انه لا يستطيع أن يتصور العدم .. ولا يملك نفسه من الفزع كلما فكر فى الموت على أنه هوة بلا قرار .. هوة من الانعدام والتلاشى .. وهو لايطمئن حتى يغطى هذه الهوة بأوراق الشجر .. ويملأها بالتصورات الجميلة وبالحور العين ..

الأمل .. الخوف .. لا ، ليس هذا فقط .. ان الحياة على الأرض يكتنفها الفساد والظلم ..

ان الخير فيها يضيع .. والشر ينتصر .. والطغيان يحكم .. والملايين ترسف فى أغلال العبودية ..

لايمكن أن يكون الموت هو نهاية القصة .. ان العقل يفترض عالما آخر .. يجد فيه الظالم قصاصه .. ويجد المظلوم جزاءه .. عالما يقام فيه الميزان وتعاد فيه كفة الخير الى رجحانها ..

والطاغية الذكى لايعترض على قيام هذه العقائد التى وضعته سلفا فى جهنم .. بل هو يشجعها .. وينفق على معابدها وكهنتها ، لانها توطد ملكه وطغيانه .. وتسلم له مجد الارض راضية ، بعد أن اختارت لها مجدا آخر بعد الموت ..

لقد رضى العبيد بقبضة من دخان وثروة من الأحلام .. وتركوا للسيد أراضيه .. وهو لا يحلم بأكثر من هذا .. فلتقام المعابد باسمه وبأمواله .. وباشرافه .. وليحرق البخور باسم الاله العادل .. القائم على الميزان بعد الموت ..

والطاغية الذكى فى حاجة الى سند من الغيب .. وحجة من

عالم الروح ليرسل بها ملايين من عبيده الى الحرب والموت .. وهو لهذا يشترى الكاهن ليخلع عليه لقب ابن الاله وابن الشمس .. ثم يرسل شعبه بأمر الهى الى ميدان القتال ..

لقد أثبتت الآخرة أنها عالم مفيد حقا للملوك والسادة ، وهى لهذا يجب أن تنمو وتتوطد ..

والآخرة لا ترعى مصلحة الملوك والكهنة وحدهم .. بل هى سلطة خلقية يستمد منها الشعب خيره وشره ..

ان الفلاح لا يقتل ولا يسرق خوفا من الشرطى ، ولكن خوفا من جهنم .. ان ميزان الحساب يطارده كالشبح وهو فى حاجة الى هذه السلطة الروحية ، لأنه همجى لا يقتنع بالعقل وحده ..

وفى هذا يقول فولتير :

« اذا لم يكن الله موجودا فينبغى أن نوجده » ..

ويقول نابليون :

« لو لم يكن البابا موجودا لكنت اخترعته » ..

ويقول بلوتارخ :

« ان نشوء مدينة بلا أرض تقوم عليها أسهل من قيام دولة بدون اله تعتقد فيه » ..

لقد أدرك الثلاثة نشأة الروحية من الضرورة المادية .. وأن العالم الآخر أرضى ناشىء من الأرض ومن الحاجات الأرضية .. ولا دخل للسماء فيه ..

بقى عامل أخير نفخ فى الروحية .. وأعطاها ذلك العمر الطويل .. هو غرام الانسان بالشعر والفن والدراما والموسيقى والقصص .. وولوعه بعالم المقدسات والأسرار والغوامض ..



وقد رفعت الروحية فهم الحياة الى مستوى الأسرار المغلقة .. وكانت لغات الأديان حافلة بالتأنق الشعرى .. والقصص الطريف والبيان والبلاغة والجمال اللفظى ..

الامل .. الخوف .. الظلم .. الضرورة السياسية .. الضرورة الخلقية .. سيطرة الفن والجمال الشعرى والغموض على أعصاب الانسان ..

كل هذه عوامل قامت عليها فكرة الروح .. واذا كان لهذا التسلسل نتيجة بسيطة مباشرة ، فهى أن هذه الفكرة ليست من قبيل اليقينيات الثابتة التى لا تقبل الجدل .. وانما هى نتيجة عملية لظروف .. وانها سوف تتغير وتسقط بتغير الظروف وسقوطها ..

ان الفهم العصرى للنفس البشرية يدل على أنها موقوتة خاضعة للزمان والتغير والموت خضوع البدن .. وأن العقل ليس شيئا سابحا فى الهواء .. وانما هو مرتبط بالمخ كارتباط النور بالسلك المكهرب الذى ينبعث منه ..

ليست هناك نفس منفصلة عن الجسم .. وانما النفس ظاهرة من ظواهر الجسم .. انها كالحرارة المنبعثة من الفرن .. اذا انطفأ الفرن وتحول الى رماد .. انطفأت وضاعت ..

ان العقل والجسم ينموان معا ويفسدان معا .. وحقنة من خلاصة الغدة الدرقية تستطيع أن تحدث آثارا عقلية فى طفل مصاب بالبلاهة نتيجة لنقص هذه الغدة ..

والكلوروفورم يستطيع أن يمحو التفكير عن طريق تأثيره فى المخ .. ويستطيع أن يحول المريض الى حيوان غير واع يرفس برجليه على مائدة العمليات ..

والشخصية تنحل وتتفكك بالشيخوخة نتيجة لتفكك أليــاف الترابط الموجود بالمخ .. وحين تفسد الأعصاب وتفنى بعد الموت فسوف تفنى الذات الخاصة لصاحبها كنتيجة طبيعية منطقية ..

ان الشخصية ليست سوى انفصال محدد لصفات معينة بتأثير تجارب حية وأفعال منعكسة عصبية .. بعضها موروث فى شكل غرائز .. وبعضها مكتسب عن طريق الممارسة الحسية .. وهـذه الممارسة تسجل فى المخ وتنطبع على الذاكرة ، فاذا انتهى المخ .. وتعفنت خلايا الذاكرة .. فلا محل لافتراض بقـاء آخر روحانى لهذا الترابط المـادى البحت ..

وهناك مسألة أخرى ..

ان الشخصية ليست واحدة .. وانما هى سيل من الشخصيات المختلفة .. لا تنقطع عن الجريان .. فشخصيتى فى سن العاشرة غيرها فى سن العشرين ، غيرها فى سن الثلاثين .. وفى كل لحظة هناك شىء يضاف الى نفسى .. وشىء ينقص منها .. فأية واحدة من هذه النفوس سوف تبعث وتعاقب وترسل الى الجحيم ؟

وهناك انقسامات مرضية تحدث أحيانا فى الشخصية ، فتؤدى الى الشخصية المزدوجة .. وحينئذ تبــدأ مشكلة أخرى .. هى أيهما يذهب الى العالم الآخر .. دكتور جيكل أو مستر هايد ؟ ..

واذا فكرنا فى الروح على أساس التطور .. فاننا سوف نسأل : فى أية حلقة من التطور .. دخلت طبيعة الخلود ؟ ..

ان الميكروب مربوط بالدودة .. مربوط بالسمكة .. مربوط بالبقرة .. مربوط بالقرد .. مربوط بالآدمى فى سلسلة واحدة لا تختلف الا فى المرتبة الحيوانية فقط .. واذا كان للانسان روح فمن الطبيعى أن يكون للقرد روح .. وللـكلب روح ..

وانها لنهاية طبيعية اذن ٠٠ أن يبعث الانسان حيا بعد الموت هو والدودة التى فى بطنه ٠٠ والقملة التى فى رأسه ، فهكذا تعنى روحية الأديان ٠٠

لقد سمعنا عن وسطاء دجالين ٠٠ يدعون القدرة على استحضار أرواح الموتى ٠٠ ويدعون أن معهم سندا من العلم ٠٠

ولكن المراجعة البسيطة تفند هذه العملية التى يدعونها ٠٠ فما معنى اصرارهم دائما على استحضار الأرواح فى الظلام ٠٠ وما المانع فى أن تظهر الأرواح فى ضوء النهار لتتكلم وتحرك الكراسى والموائد ٠٠ وتقوم بألاعيبها البهلوانية ٠٠

ان المانع الطبيعى هو أن الظلام ضرورى للاحتيال وخفة اليد ٠٠ ولهذا كان ضروريا للأرواح ٠٠

وفى قضية السيدة كراندون الوسيطة العالمية ٠٠ قرر هودينى ومكدوجال بأن الظواهر الروحية التى قدمتها السيدة هى محض دجل ٠٠ ومنح هودينى عشرة آلاف دولار مكافأة لكل من يثبت ظاهرة روحية واحدة تحت شروط علمية ٠٠

وقام وليم جيمس وسير أوليفرلودج ومدام سدجويك باختبار وسيطة عالمية أخرى هى مدام بيير وقرروا كذبها ٠٠

وقام برجسون وكورى ومدام كورى باختبار مدام بلادينو التى كانت تدعى تحريك الكراسى بدون لمسها ، واختبرت نفس السيدة بعد ذلك فى هارفرد ٠٠ وثبت أنها كانت تحرك الكراسى فى الظلام حقيقة ٠٠ ولكن بحركات سريعة من يدها ٠٠

ان دعوى الخلود الشخصى لا يسندها العلم ٠٠ ولم تعد تسندها الضرورات الاجتماعية القديمة ٠٠

ان الانسان متجه بسرعة الى تحقيق العدالة فعلا على الأرض ٠٠

وفى القريب العاجل ســـــوف يستغنى عن اقامة ميزان آخر بعد الموت ..

لقد تطورت العبودية الى اقطاعية ثم رأسمالية ثم اشتراكية .. مؤكدة ارادة البشر فى تحقيـــق عدالتهم بدون حاجة الى تدخل الآلهة ..

وقد هزم الانسان الخوف .. وأصبح يبنى آماله على المعقولات .. لا على الخيالات .. وبدأ يستمد أخلاقه من وعيه الاجتماعى .. لا من خوفه من جهنم ..

لقد فشلت الروحية فى اقامة صرح الأخلاق .. وهذه هى الحروب الصليبية وحروب البروتستنت والـكاثوليك وعدوان اسرائيل .. قد قامت ومعها آلاف البشاعات والفظاعات باسم الدين .. قامت

لتدل على أن الأخلاق مسألة عقــل ووعى ، وليست مسألة ديانة وايمان روحانى ..

لم يعد نابليون فى حاجة الى اختراع البابا .. ليبعث الاطمئنان فى النفوس وليبعث الطاعة والنظام بين جنوده ..

ان الطاعة الآن تتم على أساس الاقتناع والعقل ..

أنا لا أقول ان معرفتى تمتد الى ما بعد الموت .. ولا أستطيع الجزم بحقيقة معينة بعد موتى .. ولكـنى أقول : ان الدواعى الاجتماعية التى استلزمت افتراض بقائنا بعد الموت قد انتهت ..

لم يعد هناك داع للاستمرار فى عقيدة فقدت ساقيها ..

لقد بلغنا من الشجاعة .. أننا نستطيع مواجهة هذه الحقيقـة البسيطة الجديدة .. أننا نموت فعلا ولا يبقى أثر لاشخاصنا ..

ما الذى يبقى اذن .. وما السر الحقيقى فى احســـاس الخلود فى داخلنا ؟

ان كل واحد منا كالخلية فى جسد المجتمع .. مثل كرم الدم البيضاء فى الجسم تخرج لتموت فى معركة مع الملاريا .. ليعيش الجسم ويتغلب على المرض ..

اننا فى اندفاعنا فى عمرنا القصير لنحقق ارادة مجتمعنا .. نحس فينا بارادة الكل .. نحس بأننا نساهم فى صحة المجتمع وبقائه .. ومن هنا كان احساسنا بالخلود .. لأن الكل خالد فعلا باق فعلا .. والذى يموت هو نحن .. الاجزاء الصغيرة .. كرات الدم التى يدافع بها جسم المجتمع عن نفسه ..

ان الوجود .. تنبض فى داخله طاقة أولية لها صفة الخلود .. حركة .. دوامة .. تظهر لنا بأشكال لا نهاية لها : الماء ، والتراب ، والنار ، والهواء .. كلها أشكال مختلفة لهذه الحركة الأولية ..

ان دوران العجلة فى المعمل يستطيع أن يولد حرارة وكهرباء وضوءا ومغناطيسية .. وعديدا لا حصر له من الظواهر المؤقتة ..

والانسان أيضا ظاهرة مؤقتة .. وهو يموت كغيره من الظواهر ، والذى يبقى على الدوام هو هذه الطاقة الأولية .. ذلك النشاط الدائم والفعل الخالص الذى قلت فى مقال سابق : انه الله .

نعم .. الذى يبقى هو الله .. هو الكل .. أما الجزء فيفنى الى غير رجعة ..

الانسان يموت .. والقرد يموت .. والعصفور يموت .. وتبقى الحركة الخالقة التى تسرى فى الجميع .. تبقى لتخلق من جديد صورا جديدة مبتكرة .. ثم تفنيها لتخلق غيرها ..

منذ ثلاثة آلاف سنة والانسان يحلم بالطيران فى الجو .. وفى الخرافة الاغريقية طار ايكاروس فى الهواء .. ولكن أجنحته التى

كانت لاصقة بالشمع ذابت تحت أشعة الشمس ·· فوقع فى البحر ومات ··

ولم يمنع هذا ليوناردو دافنشى من أن يحلم هو الآخر بالطيران ويكتب فى مذكراته هذه الـكلمة الغريبة : « سوف تكون أجنحة »

ولـكن ليوناردو دافنشى مات ·· ومات من بعده ملايين ··
وظل كل واحد يحلم ويموت ··
وأخيرا طار الانسان ··
لقد نجحت الحياة أخيرا ··
أخفق الفرد ·· ونجح الـكل ··
مات الفرد ·· وعاشت الارادة الـكلية ·· وهـــذا هو الخلود الحقيقى ··

ان كمية خلود الفرد هى مدى مايضيفه للـكل ·· للمجتمع ·· للانسان ·· لأن الانسان باق ·· أما الفرد فميت ·· ومن خلال ارادة الانسان ·· وارادة الحياة العامة يحس الفرد بخلوده الحقيقى ··

ان هذه العقيدة لتبدو أجمل بكثير من عقيدة الخلود الشخصى ·· وسوف تحل محلها مع الزمن ·· ومع تطور الانســان الى مرحلة النضج والاكتمال ، وحينئذ سوف ينظر الانسان خلفه ·· ويضحك ملء شدقيه ··

نعم ·· ما أجمل الحياة ·· خصبة تتجدد ·· فى ابتكار دائم ·· وما أضيق الحياة التى تكرر نفســها فى نسختين من عالمين اثنين ·· لسبب بسيط ·· هو أن الانسان مغرور ، لا يقبـــل أبدا أن يموت كما تموت العصافير ·

● اننا نضع نوافذنا فى الجهة الشرقيــة لتدخل منها الشمس .. ولكن الشمس لا تبزغ من الشرق لتكون فى مواجهة نوافذنا ●

السبب

كل شيء فى الدنيا له سبب ..
البــاب يصفق لأن الريح تهب .. والريح تهب لأن هناك تخلخلا فى طبقات الجو ..

وهنـــاك تخلخل فى طبقـــات الجو لاختـــلاف درجات الحرارة فى الهـــواء ..

كل شيء سبب لما بعده .. ونتيجة لما قبله ..

وينتج عن هذا سؤال طبيعى ..

كيف يكون الله فى قلب الـكون .. وكيف يقـال انه حــركة الـكون وقانونه ..؟

أمن المعقول ان تكون هناك حركة بلا محرك ونظام بلا منظم ... وحدث كونى عظيم اسمه الوجود .. بدون موجد ..؟

كيف يكون الله هو الـكل .. والـكل بلا سبب ..؟

السماء والبحر والارض والنجـوم والفلك العظيم الذى يدور فى دقة الساعة .. الا يحتاج كل هذا الى صانع ومهندس ..

●●●

والسؤال فى ذاته وجيه .. ولـكنه يحتوى على مغالطـــة وخطأ

منطقى .. فقانون السببية الذى يقول بترابط الحوادث فى سلسلة من الاسباب والنتائج هو مجرد ملاحظة علميــة مأخوذة من وقائع جزئية .. وهو ينطبق على حوادث مفككة فى نطاق حواسنا ... ولكنه لا ينطبق على حدث كلي .. لأن الكل غاية وسبب فى ذاته ولا يحتاج الى سبب من الخارج ..

التفاصيل الدقيقة فى حياتى لها سبب .. ولكن الوجود فى مجموعه مكتمل مستغنى عن الاسباب ..

أنا أتعاطى الاقراص المنومة لانى لا أنام .. وأنا لا أنام لانى أحب .. وأنا أحب لأن هناك غريزة جنسية تعمل فى داخلى .. والغريزة تعمل فى داخلى لتدفعنى الى التناسل .. والتناسل هو الوسيلة للبقاء .

والبقاء والوجود غايات نهائية تفسر كل شىء .. الوجود هو التحقق .. وهو يبتلع فى داخله الاجزاء وأسبابها .. ويفسرها جميعا .. والذى يسأل عن سبب له كمن يسأل ..

لماذا تبدو الاشياء المتساوية متساوية ..؟

اننا نضع نوافذنا فى الجهة الشرقية لتدخل منها الشمس .. ولكن الشمس لاتبزغ من الشرق لتكون فى مواجهة نوآفذنا ..

ان قانون السببيه يفسر حياتنا الحسية المحدودة فقط ولكنه لا ينطبق على الكون ككل ..

والخطأ المنطقى الثانى .. إن كلمة من الذى خلق الكون .. معناها ان الكون كان معدوما فى البداية ثم خلق .. وكيف يكون لمعدوم كيان ..

ان العدم معدوم فى الزمان والمكان وساقط فى حساب الكلام .. ولايصح القول بأنه كان ..

وانعدام السكون دعوى فى حاجة الى برهان ... بعـكس وجوده فهو بديهى ..

ان الذى يلقى السؤال يلقى فى داخله حقيقة غير منطقية ودعوى تحتاج الى دليل ..

بعـكس المنطق البسيط الذى يقـول .. ان الوجود موجود .. والعدم معدوم .... فالوجود اذن ممتـد الى الابد والازل ... ولم يكن منعدما فى أى وقت حتى نسأل .. من الذى خلقـه ..

●●●

وتبقى بعد هذا ... الدعوى التى تقول ان العقل البشرى محدود . وانه كأى حاسة من الحواس يقف عند نطاق معيين من المدركات لا يتعـداه كالعين التى لا تدرك الاشـعة تحت الحمراء ولا فوق البنفسجية .. ومن هنا كان البحث فى الله عن طريق عقلنا المحدود نوع من الشطط ومحاولة لادراك إلكامل عن طريق الناقص ..

وأنا أعتقد ان هـذه حجة على أصـحاب الدعوى أنفسـهم .. وتطبيقها معناه .. ان حججهم لا يؤخذ بها لانها من نتاج العقل ... والعقل تافه ناقص عاجز الى آخر هذا الفهم الذليل المخجل .

انه أسلوب يحط من كل جهـد انسانى بما فى ذلك جهـدهم وتفـكيرهم ..

وهم بعـد هـذا واقعون فى خطأ جوهرى .. فالعقـل ليس محـدودا ..

فمنذ ألف سنة كانت الاشعة فوق البنفسجية .. والاشعة تحت الحمراء خافية على العقل .. ولكنها الآن بفضل الترمومتر والفيلم الحساس فى نطاق ادراكه ... وبعد ألف عام سيكتشف العقـل مئات الحقائق الأخرى ..

ان العقل محـــدود فى الزمن الجــامد الواقف ‥ ولكن الزمن يتحرك ‥ والعقل يحقق تطوره فى الزمن ‥ فتتساقط المجهولات الواحد بعد الآخر ‥

ان الحاجز الذى يحد العقل حاجز متحرك ‥ يتقهقر باستمرار ‥ وهم يتصورون لحظة زمنية واحدة ويستخرجون منها حكما عاما خاطئا عن عجز العقل ‥

انهم مطالبون بنظرة شاملة الى التاريخ ‥ وسيدركون ان العقل يتقدم ‥ بل يقفز ‥ ويطير فى الزمن ‥

لقد أعطانا العقل ميكرسـكوبا ‥ وتلسـكوبا ‥ وأشعة اكس ومقاييس الكترونية ‥ وكل هـذه الوســائل هتكت الستر ومدت ادراك الحواس ملايين الاميال ‥ وملايين السنين الضـــوئية عبر الفلك ‥ وما يزال العقل يعطينا ‥ وسيطعينا وسائل لاحد لها .

والقائلون بأن الوجود محـــــدود ‥ واقعون فى خطأ أكبر ‥ فالوجود غير محدود اذ لا يحد الوجود الا العدم ‥ والعدم معدوم كما قلنا ‥ ومن هنا كان الوجود غير محدود وممتد الى مالا نهاية .

● كانوا يقولون لى ان البحث فى الله اضاعة للوقت فى مشكلة نظرية مجردة .. وان الاجدى بى ان افكر فى الحاجات الملحة الملموسة حولنا .. وكنت اعتقد دائما انهم على خطأ .. وان الله ليس رمزا مجـردا .. وانما هو احدى هـذه الحاجـات التى تلح علينـا كل يوم فى السوق والدكان والمعبد وهيئة الامم المتحدة وقد اثبتت الاحداث انى كنت على صواب ●

الله .. والسياسة العالمية

كان موسولينى يقول أيام العلمين انه يزحف الى الاسـكندرية ليحمى حمى الاسلام .. وان الغزو الايطالى ليس عدوانا وانما هو فى الحقيقة نوع من الحج .

وكذلك كان الانجليز يقولون حينمـا كانوا يضربون طـوابى الاسكندرية بعد حادثة المالطى ..

كانوا يقولون انهم يحمون المسيح ورعاياه بقنابل الاسطول .

وأمريكا اليوم تقول انها تحمى الشرق من الالحاد بضربه بالأسلحة الذرية الصغيرة ..

ما السر فى هذا الحرص الغريب من الدول الاستعمارية الـكبرى على اديانا .

انها اديانا نحن فى النهاية .. وأنبياؤنا .. الذين عاشوا لنـا وماتوا لنا وتركوا ارثهم الروحى لأجدادنا ..

لم ينزل القرآن فى نيويورك .. ولا الانجيل فى هوليوود .. ولا التوراة فى كابرى .. وانما نزلت كلها فى بلادنا .. فلم كل هـذا القلق من جونبول والعم سام على تراثنا الدينى ..

ان فى الأمر سرا ..

لقد كانت من المصادفات السيئة .. ان ينبوع الوحى والكتب السماوية كان ينبوع البترول فى نفس الوقت ..

كان هذا سببا كافيا ليقرأ أصحاب شركات شل وفاكوم .. القرآن والانجيل والتوراة جيدا .. ويحفظوها عن ظهر قلب ..

ان أحسن طريقة يجيد بها اللص سرقاته هى أن يدرس نفسية ضحيته ..

ومن خلال كتبنا الدينية درس أصحاب شل وفاكوم نفسياتنا .. وعرفوا كيف نفكر .. واكتشفوا أن فينا نقطة ضعف وحيدة يستطيعون التسلل منها الى جيوبنا والى قلوبنا دون أن يكبدوا أنفسهم مشقة الاقناع والمنطق .. هى الدين .. فنحن فى الشرق نناقش كل شىء الا مسألة الله .. اننا نعتبره فوق الجدل .. وفوق العقل .. وفوق الواقع ..

ان التأشيرة الدينية جواز مرور لأى شىء الى قلوبنا ..

ومن هنا كان مارشال بالبو فى طبرق والعلمين يختم جنوده ودباباته بختم اسلامى ليدخل الاسكندرية بالطبل البلدى .. وكانت انجلترا تطلق قذائف من الأناجيل على المصريين قبل ضربهم بالقنابل ..

ولنفس السبب تطبع السفارات الآن ألوف المنشورات تمزج فيها أرادة الله بارادة ايدن وموليه وآيزنهاور ، وتجعل من الاستعمار وصيا وقيما على شئون المساجد والكنائس والبطرخانات ..

انها تدخل الينا من الباب الوحيد الذى لا يقف عليه حراس .. من باب الله ..

وهذا يدعو جميع الكتاب والمفكرين بما فى ذلك المشايخ العتاة

فى الدين ·· أن يفكروا من جديد وينـكتلوا لسـد هذا الباب الذى يتسلل منه الموت والدمار ·· الى جماهير سذج يصلون الفجر كل يوم بقلب طيب ··

ان الله ليس فوق الجـدل ·· وليس فوق العقـل ·· وليس فوق الواقع ··

ان الله هو العقل وهو الواقع وهو مجموع القوى الـكونية التى تعمل لخيرنا فى كل وقت ·· وهى قوى تقبل المراجعة والتفـكير والبحث والتطور ··

وحينما يقول آيزنهاور ان الكونجرس مجتمع لحماية الشرق من الالحاد ·· فعلى الشيخ عبد الرحمن تاج أن يقـول على الفور ان الأزهر مجتمع لاباحة التفـكير ولاعلاء شأن العقل ·· وأن الأزهر لا يخشى الالحاد ·· وان الله أقرب الى الذين يجتهدون فى فهمـه من الذين يؤمنون به ايمانا أعمى ·· وان الاديان الحقيقية لا تشحن الى موانينا الشرقيـة على بوارج الأسطول السادس ·· وانمـا هى حقوقنا وميراثنا ونبات أرضنا ومن حقنـا أن نناقشها ·· وان الله الذى يدافع عنه آيزنهـاور ليس هو اله الاسلام ولا اله المسيحية وانما هو عضو فى مجلس ادارة شركة الزيت العراقيـة ·· وقـد أسقطناه من حسابنا من زمن طويل ··

ان الهنا يقدس بالتفكير فيه ·· ولا يستمد قداسته من الجمود ·

اننا نعلن سقوط الرب الوثنى الذى يدعو له آيزنهاور ·· الرب الذى اقام له عرابى حلقـة الذكر ·· ونعلن أيضا أن دفاع الغرب المزيف عن أدياننا ما هو الا دفاع عن غبائنا ··

انهم يريدون منـا أن نظل تائهين فى ضـباب البخور نرقص فى حلقات الزار ·

انهم يريدون منـــا ما هو أقدس من جميع الأديان ·· يريدون حرياتنا وأقواتنا ·· وأولادنا ·· وبناتنا ·· وأجيالنا القـادمة ·· ونحن نرفض أن نعطيهم شيئا من هـــذا ، ونعلن اننـــا اكتشفنا الورقة التى يستعملونها فى لعبهم المغشوش ··

انهم يستعملون كلمة ·· الله ·· فى الســـياسة الدوليـــة كما يستعملون الجوكر ·· ونحن لدينا رقة جديدة أقوى من غشهم ·· اسمها المنطق ·· وللمنطق يخضع كل شيء عنـــدنا من منشورات للسفارات ·· الى الـكتب المقدسة ··

انهم يقولون ان الوحدة العربية وحدة دينية وهذه خدعة يريدون بها تحطيم هذه الوحدة ··

ان الوحدة العربية لم تكن وحدة دينية فى أى يوم من الأيام ·· وانما كانت على الدوام وحدة جغرافية ووحدة ظروف ·· ووحـــدة مظالم تشترك فى حملها شعوب مستقلة لتواجه بها غولا واحدا هو الاستعمار ··

ان الدين عندنا علاقة بين المواطن وربه ·· وكل متـــدين حر فى تصور هذه العلاقة وفهمها كما يحب ·· انها مسألة من صميم مسائله الشخصية ·· ولا علاقة لها بالسياسة ·· ولا بالقومية ·· ولا بالوحدة العربية ·· وكل من يخرج بهذه العـلاقة من بساطتها الشخصية الى خضم الاحداث العالمية ·· ويستخدمها ليخدع بهـا الجماهير · ويمزجها بالسم والديناميت ·· ويبرر بها مشـاريعه العدوانية مشعوذ ونصاب ··

ان أمريكا لاتحرص على أدياننا مطلقا والا لما امدتنا بدين رابـــع تنفق عليه وتطبع له الكتب والمنشورات هو دين ·· شهود يهوه ··

ان أمريكا تخشى من الوعى الجديد بين الشباب المتفتح فى الشرق

.. تخشى من عشرة آلاف طالب في الجامعة يستخدمون الأسلوب العلمى فى حياتى وتفكيرهم .. ولهذا فهى تشحن لنا حمولة جديدة من الخرافة وتوزعها على السذج والاطفال مع الادوية والشكولاته والرشاوى الحقيرة ..

ان الله الذى تتحدث عنه أمريكا .. وتحميه بقنابلها الذرية هو الشيطان بعينه ..

أنها لعبة اسماء ..

والحقيقة بعد تعريتها من الرموز .. والأقنعة هى كالآتى :

ان الاستعمار فى معركة مع الوعى فى مصر والبلاد العربية لتظل الفلسفة السائدة .. هى الفلسفة القدرية المتواكلة .. فلسفةالرضا بالذل وعدم مناقشة الاستعباد على أنه مصير مضروب على أعناق الملايين من قبل قوة رهيبة اسمها الله ..

ان الله قد وزع الأنصاب والارزاق فخص الرجل الأبيض بالصحة والجمال والذكاء والسيادة وخصنا بالذل والعبودية والاستجداء وعلينا ان نرضى .. فليست لنا حيلة .. وثورتنا على أوضاعنا الحاد لا يليق بماضينا العريق فى التدين ..

وهم لايكتفون بالتزييف وباختلاق أديان جديدة..وانما يصدرون الينا أنواعا غريبة من العلوم ..

فأمثال ادنجتون وجينز من العلماء يستخدمون العلم الموضوعى فى تشويه الحقائق الفلكية .. وفى تأكيد قوى غيبية مجهولة تسيطر على مقدرا البشر

وأمثال فندلاى من فلاسفة الارواح يقدمون لنا أدلة كاذبة على وجود عالم خرافى نصفه من الارواح ونصفه من الشياطين والملائكة ..

وكل هذه الكتب تتسلل كالمخدرات وتجد أرضها الخصبة فى اذهان الكثرة من القراء ..

ودخان التصوف ما زال يعمى أبصار الشرقيين عن الحقائق .

والتصوف فى هذا الوقت العصيب جريمة .. فنحن فى حاجة الى الوضوح لنفضح المؤامرات الثقافية التى تحيط بعقولنا كل يوم ولنكشف السم فى كل كتاب والأفيون فى كل نشرة .. والتصوف لايخدمنا .. أنه اسلوب حدسى تخمينى يفسر الواقع بالشعر والخيال ويخضع الحقيقة للحالات الوجدانية ويعتبر العقل عاجزا عن فهم الكون .. وهو ينتهى بأصحابه الى الخلط .. والتشويش والذهول .. ويلقى بهم فى مستشفيات الامراض العقلية فى النهاية

اننا فى معركة مريرة .. وسلاحنا الوحيد هو الوضوح .. والتصوف يخذلنا .. والجمود التقليدى فى مسائل الدين يقضى على حيويتنا ..

والحل الوحيد هو أن نكون فى توثب دائم .. وفى جبهة دفاعية متحدة يتعاون فيها المفكر الحر والسياسى اليقظ .. ورجل الدين العصرى .. لنكسر الدروع السميكة حول اعدائنا ونمزق عن وجوههم القبيحة النقاب ..

فهرس